

مِعْزَاجُ الشُّوْفِ

إِلَى حَقَائِقِ النَّصُوفِ

وَيْلِيهِ كِتَابٌ

كَشَفَ النِّقَابَ

عَنْ سِرِّ لُبِّ الْأَلْبَابِ

لِلشَّيْخِ

عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ عَجِيْبَةٍ

ت: 1224 هـ

تقديم وتحقيق

د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

مَعْرِجُ التَّصَوُّفِ إِلَى حَقَائِقِ النَّصُوفِ

لِلشَّيْخِ
عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ عَجِيْبَةَ

ت: 1224 هـ

تقديم رقيق
د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

1 / الحمد لله الذي حَقَّقَ الحَقَائِقَ ، وأَوْضَحَ الطَّرَائِقَ ، والصلاة والسلام على [سيدنا] (1) ومولانا محمد سيد الخلائق ، والمخصوص بتواتر المعجزات ، وتظاهر الخوارق ، وَرَضِيَ اللهُ تعالى عن أصحابه الأعلام ، الذين أظهر الله بهم دينه (2) القويم في أقصى المغارب والمشارق .

وبعد : [فَعِلْمٌ] (3) التصوف هو سيد العلوم ورئيسها ، وكُتَّابُ الشريعة وأساسها ، وكيف لا ، وهو تفسير لمقام الإحسان الذي هو مقام الشهود والعيان ، كما أن علم الكلام تفسير لمقام الإيمان ، وعلم الفقه تفسير لمقام الإسلام ، وقد اشتمل حديث جبريل عليه السلام على تفسير الجميع ، فإذا تقرر أنه أفضل العلوم تَبَيَّنَ أن الاشتغال به أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى لكونه سبباً للمعرفة الخاصة التي هي معرفة العيان .

وقد اشتمل على حقائق غريبة ، وعبارات دقيقة ، اصطلاح القوم على استعمالها . فينبغي الوقوف على معانيها ، لمن أراد الخوض فيه ، والوقوف على معانيه ، وقد أردت بحول الله وقوته ، أن أجمع نبذة صالحة من حقائق هذا الفن واصطلاحاته ، لعل الله ينفع به من يريد الوقوف على هذا العلم .

وسميته : معراج التَّشَوُّفِ إلى حقائق التصوف . وبالله التوفيق ، وهو الهادي إلى سواء الطريق . . . وسأذكر لكل حقيقة ما يتعلق بها بداية ووسطاً ونهاية .

1 - التَّصَوُّفُ : علمٌ يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك ، أو تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل ، أو غيبة الخلق في شهود

(1) ما بين المعقوفين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(2) أ : دين . التصويب من : ب .

(3) ما بين المعقوفين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

الحق، أو مع الرجوع إلى الأثر فأوله علم، ووسطه عمل، وآخره موهبة .
 2- واشتقاقه : إما من الصَّفَا ؛ لأن مداره على التصفية ، أو من الصُّفَّة ؛ لأنه اتصاف بالكمالات ، أو من صُفَّة المسجد النبوي ؛ لأنهم متشبهون بأهل الصُّفَّة في التوجه والانقطاع ، أو من الصوف ؛ لأجل لباسهم الصوف ثقلًا من الدنيا وزهدًا فيها اختاروا ذلك ؛ لأنه كان لباس الأنبياء عليهم السلام ، وهذا .
 3- الاشتقاق : أَلِيقُ لُغَةً ، وأظهر نسبةً ، لأن لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ، ونسبتهم إلى غيره أمر باطن ، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب . يقال : تَصَوَّفَ إذا لبس الصوف . كما يقال : تَقَمَّصَ إذا لبسَ القميص ، والنسبة إليه صوفي .

قال سهل (1) : « الصُّوفِيُّ من صفى من الكدر / 2 / وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر (2) (3) أي (4) لا رغبة له في شيء (5) دُونَ مَوْلَاهُ » .
 قال الجنيد (6) : « الصُّوفِيُّ كَالْأَرْضِ يُطْرَحُ عَلَيْهَا كُلُّ قَيْحٍ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَّا الْمَلِيحُ » .

(1) هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري تخرج عن خاله محمد بن سوار ، ولقي أبا الفيض ذا النون المصري بالحرم ، توفي سنة (283هـ) ، وقيل : سنة (273هـ) ترجم له في : صفة الصفوة : (4 / 41 - 42) الطبقات الكبرى للشعراني : (1 / 77 - 79 رقم 149) . طبقات الصوفية للسلمي (ص 166 - 171) .

(2) المدر : قطع الطين اليابس ، وقيل : الطين العَلِكُ الذي لا رَمَلَ فيه . لسان العرب لابن منظور مادة « مدر » . (5 / 162) .

(3) انظر نقل هذا التعريف في كتاب : « التعرف لمذهب أهل التصوف للكلابندي المتوفى سنة (380هـ) » . (ص : 19) . وانظر مثله لأبي بكر الشبلي في حلية الأولياء (23/1) .

(4) سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(5) سقط من : أ ، الزيادة من : ب .

(6) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزار القواريري كان أبوه يبيع الزجاج ، أصله =

وَقَالَ أَيضًا : « الصُّوفِيُّ كَالْأَرْضِ يَطَّأُهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . وَكَالسَّمَاءِ يُظِلُّ كُلُّ شَيْءٍ ، وَكَالْمَطَرِ يَسْقِي كُلَّ شَيْءٍ » . أ هـ .

4 - التوبة : الرجوع عن كل فعل قبيح ، إلى كل فعل مليم ، أو عن كل وصف دنيء إلى التحقق بكل وصف سنيء⁽¹⁾ « أو عن شهود الخلق إلى الاستغراق في شهود الحق »⁽²⁾ .

وشروطها : النَّدَمُ وَالْإِقْلَاعُ وَتَفْيُّ الْإِصْرَارِ . وَأَمَّا رَدُّ الْمَظَالِمِ ففرض مستقلٌ تَصِحُّ بدونه ، كما تصحُّ من ذنب مع الإصرار على آخر من غير نوعه . فتوبة العامة من الذنوب ، وتوبة الخاصة من العيوب ، وتوبة خاصة الخاصة من كل ما يشغل السرَّ عن حضرة علام الغيوب ، وكلِّ المقامات تفتقر إلى التوبة ، فالتوبة تفتقر إلى توبة أخرى بَعْدَ نَصُوحِهَا ، والخوف يفتقر إليها بحصول الأمن والاعتزاز ، والرجاء بحصول القنوط والإياس ، والصبر بحصول الجزع ، والزهد بخواطر الرغبة ، والورع بتبعية الرخص أو خواطر الطمع ، والتوكل بخواطر التدبير والاختيار ، والاهتمام بالرزق ، والرضا والتسليم بالكراهية ، والتبري عند نزول الأقدار ، والمراقبة بسوء الأدب في الظاهر ، وخواطر السوء في الباطن ، والمحاسبة بتضييع الأوقات في غير ما يقرب إلى الحق والمحبة بميل القلب إلى غير المحبوب ، والمشاهدة بالتفات السرِّ إلى غير المشهود ، أو باشتغاله بالوقوف مع شيء من الحسّ وعدم زيادة الترقّي في معاريج الأسرار ؛ ولذلك كان عليه الصلاة والسلام « يستغفر في المجلس الواحد سبعين مرة أو مائة » .

والتوبة النصوح : يجمعها أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ : الاستغفارُ بِاللِّسَانِ ، والإقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ ، وعدم الإصرار بالجنان ، ومهاجرة سَيِّئِ⁽³⁾ الْخِلَانِ .

= من نهاوند ومنشأه ومولده بغداد توفي سنة (298 هـ) . ترجس له في طبقات الصوفية (139 - 134) - الرسالة القشيرية (430) .

(1) سَنِيٌّ : رفيع .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(3) سقط من : ب .

وقال سفيان الثوري (1) : علامة التوبة النصوح أربعة : « الْقِلَّةُ ، وَالْعِلَّةُ ،
وَالذَّلَّةُ ، وَالْغُرْبَةُ » .

5- الإنابة : وهي أخص من التوبة ؛ لأنها رجوع يصحبه انكسارٌ ونهوض إلى
السير ، وهي ثلاثة مراتب : رجوع من الذنب إلى التوبة ، ومن الغفلة إلى
اليقظة ، ومن الفرق إلى الجمع على الله .

6- الخوف : انزعاج القلب من الحُوقِ مكروه أو فوات مرغوب ، وثمرته :
النَّهْوضُ إلى الطاعة ، والهروب من المعصية ، فإظهارُ الخوف مع (2) التقصير
دعوى . فخوف العامة من العقاب ، وفوت (3) الثواب . ، وخوف الخاصة من
العتابِ وَقَوَّتِ الاقتراب . وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب / 3 / بعروض
سوء الأدب .

7- الرجاء (4) : سكون القلب إلى انتظار محبوب بشرط السعي في أسبابه ،
والإِقامَةُ وغُرُورٌ . فرجاء العامة حُسْنُ الْمآبِ بحصول الثواب ، ورجاء الخاصة
حصول الرضوان والاقتراب ، ورجاء خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ التمسكين من الشهود وزيادة
الترقي في أسرار الْمَلَكِ الْوَدُودِ (5) . والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير ،
لا يطير إلا بهما ، وَرَبَّمَا يُرَجِّحُ الرَّجَاءُ عند العارفين ، والخوف عند الصالحين .
8- الصبر (6) : حبس القلب على حكم الربِّ ، فصبر العامة حبس القلب

(1) هو سفيان بن سعيد الثوري لَقَبُهُ شُعْبَةُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْحَدِيثِ ، تُوْفِيَ بِالْبَصْرَةِ سَنَةَ
(161 هـ) فِي خِلَافَةِ الْمُهَدِّي . تَرْجَمَ لَهُ فِي : صِفَةِ الصَّفْوَةِ : (71/3 - 74) - تَارِيخُ
الثَّقَاتِ لِلْعِجْلِيِّ (ص : 190 - 193 رَقْم 571) .

(2) ب : من .

(3) أ : وفوات . والتصويب من : ب .

* لِلْمُزِيدِ عَنْ تَعْرِيفِ التَّوْبَةِ انْظُرِ الرِّسَالَةَ الْقَشِيرِيَّةَ (ص 91 - 97) .

(4) قَالَ تَعَالَى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ﴾ [الْعنكبوت آية : 5] .

(5) فِي ب : الْمَعْبُود .

(6) قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [النحل آية : 127] . وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ : « الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ . كِتَابُ الْجَنَائِزِ .

بَابُ الصَّبْرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى حَدِيثُ (1302) .

على مشاق الطاعات ورفض المخالفات . وصبر الخاصة : حبس النفس على الرياضات والمجاهدات وارتكاب الأهوال في سلوك طريق الأحوال ، مع مراقبة القلب في دوام الخضوع ، وطلب رفع الستور . وصبر خاصة الخاصة : حبس الروح ، أو السرّ في حضرة المشاهدات والمعاینات ، أو دوام النظرة والعكوف في الحضرة .

9- الشكر (1) : فرح القلب بصحول النعمة مع صرف الجوارح في طاعة المنعم ، أو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . ومرجعه لثلاث : شكر باللسان : وهو اعترافه بالنعمة ؛ بنعمة الاستكانة . وشكر بالبدن وهو اتصافه بالخدمة . وشكر بالقلب : وهو شهود المنعم عند حصول النعمة . « ومرجع الكل إلى ما قال الجنيد : ألا يعصي الله بنعمه ، فشكر العامة الثناء باللسان وشكر الخاصة الخدمة بالأركان ، وشكر خاصة الخاصة الاستغراق في شهود المنان » (2) .

10- الورع (3) : كف النفس عن ارتكاب ما تكره عاقبته . فورع العامة ترك الحرام المتشابه ، وورع الخاصة ترك كل ما يكدر القلب ويجد منه كرازة وظلمة ، ويجمعه قوله عليه السلام : « دع ما يريبك ، إلى ما لا يريبك » (4) . وورع خاصة الخاصة : رفض التعلق بغير الله ، وسد باب الطمع في غير الله ، وعكوف الهم على الله ، وعدم الركون إلى شيء سواه . وهذا هو الورع الذي هو ملاك الدين كما قال الحسن البصري (5) حين سئل عن ملاك الدين ؟ فقال : الورع . قيل له :

(1) قال تعالى : ﴿ لَمَّا شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [سورة إبراهيم آية : 7] .

(2) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع .

(3) السورع : هو الابتعاد عن الشبهات والمعاصي . وفي الحديث « كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ » رواه أبو هريرة وأخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الزهد باب الورع والتقوى حديث (4217) وقد حسنه الهيتمي في كتابه مجمع الزوائد .

(4) أخرجه الترمذي في السنن كتاب صفة القيامة باب (60) حديث (2525/8) (4 / 232) برواية الحسن بن علي وقال الترمذي : « حديث حسن صحيح » .

(5) هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري توفي سنة (110هـ) . ترجم له في تاريخ =

وما فساد الدين ؟ قال : الطمع . فَأَلْوَرَعُ الذي يُقَابِلُ الطمع كل المقابلة هو ورع خاصة الخاصة وجزء منه يعدل آلافاً من الصلاة والصيام . ولذا قال في التنوير :
وليس يدل على فهم العبد كثرة علمه ولا مداومته على ورده ، وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه ، وَأَنْحِيَاشُهُ إِلَيْهِ بقلبه ، والتحرز من رِقِّ الطَّمَع والتخلي بحلية الورع ⁽¹⁾ (ا . هـ) . يعني ورع الخاصة أو خاصة الخاصة . . والله تعالى أعلم (*) .

11 - الزهد : خلو القلب من التعلق بغير الرب . أو برودة الدنيا من القلب ، / 4 / وعزوف النفس عنها . فزهد العامة ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء . وزهد الخاصة ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال . وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات . وحاصل الجميع برودة القلب عن السَّوَى ، وعن الرغبة في غير الحبيب وهو سَبَبُ المحبة كما قال عليه السلام : « ازهد في الدنيا يحبك الله » ⁽²⁾ . . الحديث وهو سبب السير والوصول إذا لَا سِيرَ للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب .

12 - التوكل ⁽³⁾ : ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على شيء سواه ، والتعلق

= الثقات للعجلي (ص : 113) - صفة الصفوة (2 / 127) - تهذيب التهذيب

(2 / 263 - 270) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص 56) .

(*) عن الورع : انظر الرسالة القشيرية (ص 109 - 115)

(1) انظر هذا النص في كتاب التنوير هي إسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري (ص 64)

مطبوعات مكتبة عباس شقرون . بدون تاريخ .

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه . كتاب الزهد (37) باب في الزهد في الدنيا (1) . حديث

(4102) ، والحاكم في المستدرک ، كتاب الرقاق ، باب : ازهد في الدنيا . . (4 / 313)

- أبو نعيم في الحلية ضمن ترجمة سلمة بن دينار (3 / 253) (240) . وذكره التبريزي

في المشكاة (3 / 1433) ، وعزاه للترمذي ، وعزوه هذا غير سديد .

(3) قال سهل بن عبد الله : « أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل

كأنيث بين يدي الغاسل يقلبه كيف شاء ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وقال القصار :

التوكل هو الاعتصام بالله تعالى . الرسالة (ص 163) .

بالله والتعويل عليه في كل شيء علماً بأنه عالم بكل شيء . أو أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك ، فأدناه أن تكون مع الله كالموكل مع الوكيل الشفيق الملائف ، ووسطه كالطفل مع أمه لا يرجع في جميع أموره إلا إليها ، وأعلاه أن تكون كالميت مع الغاسل ، فالأول للعمامة ، والثاني للخاصة ، والثالث للخاصة الخاصة . فالأول قد يخطر بباله تهفة ، والثاني لا اتهام له ، لكن يتعلق بأمه عند الحاجة ، والثالث لا اتهام له ولا تعلق لأنه فان عن نفسه ، ينظر كل ساعة ما يفعل الله به .

13 - الرضا والتسليم : الرضا تلقي المهالك بوجه ضاحك أو سرور يجده القلب عند حلول القضاء . أو ترك الاختيار على الله فيما دبر وأمضى ، أو شرح الصدر ورفع الإنكار لما يرد من الواحد القهار .

14 - والتسليم : ترك التدبير ، والاختيار بالسكون تحت مجاري الأقدار فيرادف الرضا على الحد الأخير ، والرضا أعظم منه على الأولين . وقيل : الرضا يكون عند النزول ، والتسليم قبل النزول ، وهو التفويض بعينه ، فبدايتهما بالصبر والمجاهدة ، ووسطهما بالسكون مع خواطر التبرم والكراهية ، ونهايتهما بفرح وسكون مع عدم التبرم . فالأول للعمامة ، والثاني للخاصة ، والثالث للخاصة الخاصة . ويغتر الخاطر الأول عند الجميع لضعف البشرية إذ لا يخلو منه بشر .

15 - المراقبة (*) : إدامة علم العبد باطلاع الرب (1) ، أو القيام بحقوق الله سراً وجهرًا خالصاً من الأوهام . صادقاً في الاحترام ، وهي أصل كل خير (2) ، وبقدرها تكون المشاهدة ، فمن عظمت مراقبته ، عظمت بعد ذلك مشاهدته . فمراقبة أهل الظاهر : حفظ الجوارح من الهفوات ، ومراقبة أهل الباطن : حفظ

(1) ورد هذا التعريف في الرسالة القشيرية مع إسقاط كلمة : « إدامة » (ص 189) .

(2) ب : شيء .

(*) قال تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ [الأحزاب : 52] .

- سئل ابن عطاء : ما أفضل الطاعات ؟ فقال : مراقبة الحق على دوام الأوقات .
الرسالة القشيرية (ص : 191) .

القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات ، ومراقبة أهل باطن الباطن ؛ حفظ السر من المساكنة إلى غير الله .

16- المحاسبة : عتاب النفس على تضييع الأنفاس والأوقات في غير أنواع الطاعات ، وتكون آخر النهار كما أنَّ 5 / المشاركة تكون أول النهار . ويقول لنفسه في أول نهاره : هذا يوم جديد ، وهو عليك شهيد ، فاجتهدي في تعمير أوقاته بما يقربك إلى الله وكَوِّمَتِ بِالْأَمْسِ لَفَاتِكَ الْخَيْرُ الذي تفوزين به فيه ، وكذلك يقول لها عند إقبال الليل ويحاسبها عند إدباره . هكذا يدوم معها حتى تتمكن من الحضرة ، فحينئذ يتحد الوقت وهو الاستغراق في [الشهود] ⁽¹⁾ ، فلا يبقى من يحاسب ولا من يعاقب . فتحصل : أن المشاركة أولاً ، والمحاسبة أخيراً . والمراقبة دائماً ما دام في السير . فإذا حصل الوصول فلا محاسبة ولا مشاركة .

16- المحبة (*) : ميل دائم بقلب هائم ، ويظهر هذا الميل أولاً على الجوارح الظاهرة بالخدمة ، وهو مقام الأبرار . وثانياً على القلوب الشائقة بالتصفية والتحلية ، وهو مقام المريدين السالكين . وثالثاً على الأرواح والأسرار الصافية بالتمكين ، من شهود المحبوب . وهو مقام العارفين . فبداية المحبة ظهور أثر بالخدمة ، ووسطها ظهور أثرها بالشكر والهيام ، ونهايتها ظهوره بالسكون والصَّخْوِ في مقام العِرْفَانِ . فلهذا انقسم النَّاسُ على ثلاث مراتب ؛ أربابُ الخدمة ، وأربابُ الأحوال وأربابُ المقامات . فبدايتها سلوك وخدمة ، ووسطها جذب وفناء ، ونهايتها صَخْوٌ وَبَقَاءٌ .

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .
(*) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : 54] . وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » . الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه . حديث (6508) (ص : 1640) .

(*) عن المشاهدة راجع كتاب التلّمع للطوسي (ص 62 - 64) .

18-19 - المشاهدة (*) والمعينة : المشاهدة رؤية الذات الطيبة في مظهر تجلياتها الكثيفة ، فترجع إلى تكثيف اللطيف ، فإذا ترقى الوداد ، ورجعت الأنوار الكثيفة (1) لطيفة فهي المعينة ، فترجع إلى تلطيف الكثيف ، فالمعينة أرق من لمشاهدة وأتم . والحاصل أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظهر التجليات ، إذ لا يمكن إدراك اللطيف ما دام لطيفاً ، ف رؤية لتجليات كثيفة لمشاهدة ، ووردها إلى أصلها بانطق بحر لأحدية عينا معاينة وقيل . هم . سو .

20 - المعرفة وهي التمكن من المشاهدة وتصالها ، فهي شهود دائم بقرب هائم . فلا (2) يشهد إلا مولاه . ولا يعرج على أحد سواه . مع إقامة العبد وحفظ مراسم الشريعة . فهذه حدود المقامات قد انتهت في المعرفة . ثم ترجع إلى حقائق أخرى يكثر استعمالها بديية ونهية منها .

21 - التقوى (*) : وهي امتثال الأوامر ، واحتساب المنكر في الطوهر والسرير . أو مواصلة الطاعات والإعراض عن المخالفات ، فستقوى العامة . اجتناب البدنوب وتقوى الخاصة . التخلي عن العيوب ، وتقوى خاصة الخاصة . الغيبة عن السوي بالعكوف في حصرة علام (3) الغيوب .

22 - الاستقامة (4) : استعمال 6 / العم بأقوال الرسول عليه السلام .

(*) عن المشاهدة راجع كتاب التمتع لطنوسي (ص 62 64)

(1) سقط من .

(2) في .

(*) قال تعالى ﴿ إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ ﴾ [خجرات 13] قال أبو بكر محمد الرودري : لتقوى مجبة ما يبعدك عن الله تعالى . الرسالة القشيرية (ص 106)

(3) سقط من .

(4) قال تعالى ﴿ إِنْ الدِّينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا تَشْرُلْ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَحْفَافُوا وَلَا تَحْرُفُوا وَأَنْشَرُوا بِالْحَمَةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصت 29]

وأفعاله وأحواله وأخلاقه من غير تعمق ولا تأمل ولا ميل مع أوهام الوسوس .
والخروج عن المعهودات ، ومفارقة لرسوم ولعادات ، ولقيم بين يدي الله تعالى
عن حقيقة الصدق في جميع الحالات ، وهي في الأقوال بترك لغيبة ، وفي
لأفعال بترك البدعة ، وفي لأحوال بعدم الخروج عن سنن الشريعة . فاستقامة
العمامة بموافقة السنة ، واستقامة الخاصة بالتخلق بالأخلاق النبوية واستقامة
خاصة الخاصة بالتخلق بأخلاق الرحمن ، مع الاستعراق في حصرة لعب

23- الإخلاص : إخراج الخلق في معاملة حق ، وإفراد الحق تعالى في
الطاعة بالقصد أو غيبة للقلب عن غير لرب . فإخلاص لعمامة تصفية الأعمال عن
ملاحظة المخلوقين ، وإخلاص لخاصة تصفيتها عن طيب العوص في لدارين
وإخلاص خاصة الخاصة التبري من الحول والقوة ، ومن رؤية لغير في الفصل
والحركة حتى يكون العمر بالله ، ومن الله ، وإلى الله غائباً عما سواه .

24- الصدق (*) : إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى تعويلاً
على ثلج ليقين ، أو استواء الظاهر والباطن في الأقوال والأفعال والأحوال ،
وملازمة الكتمان غير على أسرار لرحمن ، وحاصله . تصفية الباطن من
الالتفات إلى الغير بالكلية . ولفرق بينه وبين الإخلاص ، أن الإخلاص ينفي
لشرك الجلي والجلي ، والصدق ينفي لنفاق والمدهنة بالكلية .

فمنال الصدق مع لإخلاص كالشجرة لذهب . فهو ينفي عنه عوارص
النفاق ، ويصفيه من كدرات الأوهام ، وذلك أن صاحب الإخلاص لا يحلو من
مداهنة النفس ومسامحة الهوى . بخلاف صاحب الصدق ، فإنه يذهب
بالمداهنات ، ويرفع لمسامحت . إذا لا يشم رائحة الصدق من دهر نفسه أو غيره
مما دق أو جر .

(*) قل تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [النوبة ١١٩] .

وعلاوة الصدق : استواء [السر] (1) والعلانية ، فلا يبالي صاحب الصدق بكشف ما يكره إطلاع الناس عليه ، ولا يستحيي من ظهوره لغيره اكتفاء بعلم الله به فصدق العامة . تصفية الأعمال من طيب الأعراض وصدق الخاصة تصفية الأحوال من قصد غير الله . وصدق خاصة الخاصة . تصفية مشرب لتوحيد من الالتفات إلى ما سوى الله . ويقال لصاحب المقام الأول . صادق وللشيء والثالث صديق . وأما تصديق بوجود الحق أو بوجود اختصاصية عبد لأوليائه وتعظيمهم لأجلها . فهو تصديق لا صدق ، خلاف ما يعتقده بعض فقهاء رمنت هذا .

ويقال لمن عظم 7 / نصديقه : صديقاً أيضاً . فالصديق يطلق على من عظم صدقه أو تصديقه

25 - الطمأنينة (*) : وهي سكون القلب (2) إلى الله عارياً عن لتقرب والاضطراب ، ثقة بضمائه ؛ وكثفاء بعلمه ؛ ورسوخاً في معرفته . وتكون من وراء الحجاب بتواتر الأدلة واستعمال الفكرة ، أو بتوالي الطاعة ومجاهدة لرياضة ، وتكون بعد زوال الحجاب يتمكن (3) النظرة ورسوخ المعرفة ، فيقوم طمأنناً بوجود الله من طريق البرهان أو البيان ، وقوم اطمأنناً بشهود الله بعد ظهوره من طريق العيان . فالأول للعلماء ، والثاني للعباد والزهد والصالحين ، والثالث للعارفين المقربين .

(1) ما بين المعقوفين سقط من أ الزيادة من ب
(*) قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ﴾ [الفجر آية 27] . وقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد آية 29] .
قال الطوسي في كتابه اللمع « الطمأنينة حار رفيع وهي لعبد رجع عقله وقوي إيمانه ورسخ عزمه ووصفا ذكره وثبت حقيقته » . (ص 62) .

(2) سقط من ب .

(3) في ب تمكين

27- الشوق والاشتياق (*) : الشوق انزعاج (1) القلب إلى لقاء الحبيب

والاشتياق (2) ارتياح القلب إلى دوام الاتصال به ، فلشوق يرول برؤية الحبيب ولقائه .

والاشتياق لا يزول أبد لطلب الروح الزيدة في كشف الأسرار والعرب إلى الأبد . فشوق العامة إلى زخارف جنه . وشوق الخاصة إلى نيل رضوانه . وشوق خاصة الخاصة إلى حضرة عيانه

28- الغيرة (3) كراهية رؤية حبيبك عند غيرك فيهيح التنافس في حيازته .

قل الشبلي : الغيرة غيرتاد فغيرة البشرية على النفوس ، وغيره الإلهية على القلوب هـ . ومعناه : أن الطبع البشري يكره أن يرى محبوبه عند غيره . كالزوجة مثلاً . والحق تعالى يكره أن يرى قلوب أوليائه متعلقة بغيره . وفي الحديث . « لا شيء أغير من الله » (4) . ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . هـ . وما في الوجود إلا الغيرة الإلهية سرّت في مظهر تحيّناته . فغيرة النفوس للعمّة . وهي غيرتهم على هتك حرمة حريمهم . وغيرة القلوب لخاصة وهي غيرتهم على قلوبهم أن تميل لغير محبوبهم . وغيرة الأرواح والأسرار لخاصة الخاصة . وهي غيرتهم على أرواحهم أن تنسفت إلى شيء دون محبوبهم

(*) قال تعالى ﴿ من كان يرحو لقاء الله فإن أجل الله لآت ﴾ [العنكبوت 4]

(1) في الرسالة القشيرية . هتّيح . (ص 329)

(2) قال لقشيري سمعت لأستاذ أبا عبي السدوق رحمه الله تعالى يفرق بين الشوق والاشتياق

فيقول شوق يسكن الدلقاء والرؤية ، لاشتياق لا يروى دلقاء وفي معناه أشدو

ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته حتى يعود إليه الطرف مشتاقا

(ص 329)

(3) عن أبي هريرة صوّت عن النبي ﷺ أنه قال « إن الله يغارُ وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما

حرّم الله » أخرجه 'بحري' في صحيحه كتاب لكح ، باب غيرة حديث (5223)

(4) أخرجه 'بحري' في صحيحه كتاب لكح ، باب غيرة حديث (5222) (ص

342) . من رواية أسماء صبي لله تعالى عه

وغيرهم على حبسهم (١) أن يميل إلى غيرهم ، وعلى هذا لأمر العظيم ، حق
لعبد أن يغار كما قال الشاعر

إذا لم أنافس في هواك ولم أغرْ عَلَيْكَ ففِي مَنْ لَيْتَ شعري أنافسُ ؟
فَلا تَمَقُّنْ نَفْسي فَأَنْتَ حَبِيبُهَا فكلُّ امرئٍ يَصْبُو إلى مَنْ يُجَانِسُ

وقد يغار لخلق تعالى على أوليائه فينتقم من أعدائهم إذا دُوهم . ومن غيرته
أيضاً عليهم . ألا يظهرهم لجميع (٢) الخلق فيضرب بهم على خلقه . حتى يلقوه
تحت أستر الخمول وهم عرائسُ حضرته .

29- الفتوة (٣) : وهي الإيثار على النفس بما تحب . وإلحسان 8 إلى
خلق بما يحب . ولذا قيل : لم تكمل الفتوة إلا لرسول الله ﷺ حيث يقول في
موضع لا يذكر فيه أحداً إلا نفسه : « أُمِّي أُمِّي » (٤) . وقيل : ألا ترى لنفسك
فضلاً على غيرك . والفتى من لا حصم له . ومرجعها إلى السخاء والنواضع
والشجاعة في مواطن الاضطراب ، ففتوة العامة بالأموال . وفتوة الخاصة
بالنفوس . وفتوة خاصة الخاصة بالأرواح . وبدل الملهج في جانب المحبوب .

30- الإرادة : وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة (٥) أو التحبب
إلى الله بما يرضى . والخلوص في نصيحة الأمة والأئس بالخنوه . والصبر على
مقاساة لأهول . ومنازلات الأحوال . والإيثار لأمره . والحياء من نظره . وبدل
المجهود في محبوبة . والتعرض لكل سبب يوصل إليه . وصحبة من يدل عليه .
والقدرة بالخمول وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول : وهي أول منزلة

(1) في . جيب . التصويب من ب .

(2) في ب حملة

(3) ستر أحمد بن حنبل ما الفتوة " فقد . " نزل ما بهوى لما تخشى " وقال خات
لمحسبي " فتوة أو تنصف وتنصف " لرسالة (ص 227)

(4) بطر حديث بأئمة في صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لأئمة
ونكته شفقة عليهم حديث (203) (ص 129) من رده لة عمره بن العصر رضي الله
تعالى عنه

(5) في شاهدة

مقصدين . و بدء طريق السالكين . والمريد . من لا إرادة له دور مولاه ، وهي ثلاث مراتب . إرادة التبرك والحرمة وهي لمن صعبت همته أو كثرت علاقته وإرادة الوصول إلى الحضرة وهي لأهل التجريد وقوة (1) ، العزم وإرادة الخلافة . وكمال المعرفة وهي لمن ظهرت نجابته . وكمدا أهليه وصرح له بالخلافة من شيخ كامل وهدف صادق .

31 - المجاهدة : وهي فطم النفس عن المألوفات وحملها على مخالفة هواها في عموم الأوقات ، وخرق عوائده في جميع الحالات . قل عضهم . مرجعه إلى ثلاث ألا تأكل إلا عند الفقة ، ولا ننم إلا عند الغبة ، ولا نتكلم إلا عند الضرورة أه .

ونهايتها المشاهدة . فلا تجتمع مجاهدة ولا مشاهدة : إذ نهية التعب عدم السفر ، فذا حصل الوصول فما بقي إلا لراحة ومشاهدة لحبيب . مع حفظ الأدب . وهي ثلاث : محاهدة الظواهر بدوام الطاعات وكف المهيات . ومجاهدة السواطن بنفي الخواطر الرديئة . ودوام الحضور في الحصرة القدسية . ومجاهدة السرئر باستدامة الشهود وعدم الالتفت إلى غير المعبود .

32 - الولاية . وهي حصول الأئس بعد المكابدة ، واعتناق الروح بعد المجاهدة . وحاصلها تحقيق الفناء (2) في الذات بعد ذهاب حسن الكائنات . فيفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل . فأولها التمكن من الفناء . ونهايتها تحقيق البقاء وبقاء البقاء . ويبقى الترقى والاتساع فيها أبدًا سرمداً [إلى ما لا نهاية له] (3) .

قار إبراهيم بن أدهم لرجل (4) . « أحب أن تكون لله ولياً ؟ قال . نعم .

(1) في ب مداوة (2) ب الفدي

(3) م بين معقوفين سقط من أ الزيادة من ب

(4) برهم من أدهم من أبناء الملوك والمياسر . توفي سنة (161 هـ 778 م) ترجم

ه في طبقات لصوفية لعبد الرحمن السلمى (ص 35 42) - لرسالة القشيرية ص 391 ، 392 .

قال : لا ترغب في شيء من الدنيا والاخرة . وقَسَّعَ نفسك لله عز وجل ، وأقبل بوجهك عليه يرفقُ (1) عليك ويواليتك (2) .

وقال غيره : « لولي من كان همه الله ، وشغله الله ، وفناؤه دائماً في الله » (3)
 9 وتطلق على ثلاث مراتب ولاية عامة وهي لأهل الإيمان والتقوى كما في الآية : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (4) وولاية خاصة وهي . لأهل الاستشراق على العلم بالله . وولاية خاصة الخاصة وهي : لأهل التمكن في معرفة الله على نعت العبر [وفي الحديث] (5) فير : من أولياء الله يا رسول الله ؟ قال : « المتحابون في الله » (6) .
 وفي رواية : « الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها » (7) .
 الحديث .

فشمّل الحديث ولاية (8) الخاصة ، وخاصة الخاصة [والله تعالى أعلم] (9)
 33- الحرية . وهي تصفية الباطن من [حُبٍّ] (10) غير الحق حتى لا يبقى فيه بقية لغير الله ، وهي حرية الكسبية ، وهي سبب الظفر بالحرية الوهية (11)
 وهي غيبه العبد في مظهر الرب ، فتنتفي ظلمة الحدوث في نور القدم ، وتختفي قوالب العبودية في تحلي مظاهر الربوبية ، فيبقى الحق بلا حلق فحبشند

- (1) في الرسالة القشيرية ليقل (ص 261)
- (2) طر هذا الكلام في الرسالة القشيرية (ص 261) .
- (3) الورد في الرسالة وقبل علامة لولي ثلاثة شعله بالله تعالى وفراره إلى الله تعالى وهمه لله عز وجل الرسالة لقشيرية (ص 263)
- (4) سورة بوسنة . 62 .
- (5) ما بين المعقوفتين سقط من ب
- (6) انظر احديث لفظ اخر في مجمع لروثد للشمسي (10 / 77)
- (7) انظر احديث في كتاب الزهد لاس أبي عاصم (ص 60)
- (8) سقط من ب
- (9) ما بين المعقوفتين سقط من ب ومثت في أ .
- (10) ما بين المعقوفتين سقط من أ . لزيادة من ب
- (11) الإلهية . التصويت من : ب

يكتب للعبد عقد الحرية ، فتكون عبدته [وعبوديته] (1) شكرًا لا قهراً كما في سيد العرفين عليه السلام : « أفلا أكون عبداً شكوراً » (2).

وقال إمام هذه الطريقة (3) الجنيد « عبادة العارف تاح على الرؤوس » يعني كمالاً لكعب .

34 - الْعُبُودِيَّةُ (4) : « هي القيام بآداب الربوبية مع شهود صُغْفٍ لبشرية »
وقال بعضهم : « هي القيم بحق الطاعات ، بشرط التوقير و لنظر إلى ما منته
نعين التقصير . أو ترك الاختيار فيما يبدو من الأقدار ، والتبري من الخول
والقوة ، وإقرار بما يوليئك ويعطيك » من المنة (5) [وعلامتها ترك لتدبير
بشهود التقدير] (6) . وأجمع العبارات فيها ما قال بن عطاء (7) : « حفظ
لحدود ، والوفاء (8) بالعهود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود » .

قلت : وأحسن ما قيل (9) في تفسير العبودية : أن نقدر أن لك عبداً اشتريته
بمالك ، فكما تحب أن يكون عبدك معك ، فكأن أنت مع مولاك . فالعبد لا يملك
مع سيده شيئاً من نفسه ولا ماله . ولا يمكنه مع قهرية سيده تدبير ولا اختيار .
ولا يتزين إلا بزي العبيد أهل لخدمة . ويكون عند أمر سيده ونهيه . وإذا كان

(1) ما بين المعقوفتين سقط من ب . ومشت في أ .

(2) أخرجه البحاري في صحيحه في كتب التفسير . باب « ليعقر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر » [لفتح آية 20] حديث (4836) (ص1229) من رواية لمغيرة بلفض قام
البي عليه السلام حتى تورمت قدمه ، ففس له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟
قل « أفلا أكون عبداً شكوراً »

(3) في ب مصدقة

(4) قال يعنى « وَعَبُدْ رَّبَّكَ حَتَّى تَأْتِيَ الْبَقِيَّةُ » [سورة حجرية 99]

(5) مصر هـ . تعرف حرفياً في لرسالة لقشيرية (ص198)

(6) ما بين المعقوفين سقط من ب . ومشت في أ

(7) هو أحمد بن عطاء الرودرى . توفي سنة 369 هـ 979م . لرسالة القشيرية (ص

415)

(8) مصر قول بن عطاء الرودرى في لرسالة قشيرية (ص199)

(9) سقط من ب

حَذَقَ فَهَمَّ عَمَل (1) مَا يُرْضِي سَيِّدَهُ قَبْلَ أَنْ يَأْمُرَهُ ، وَيَفْهَم عَنْ سَيِّدِهِ بِأَدْنَى إِشَارَةٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَدَابِ الْمَرْضِيَّةِ فِي الْعَبِيدِ الْمُؤَدِّينَ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ لِدَقَّاق (2) : « الْعَبُودِيَّةُ أُنْمٌ مِنَ الْعِبَادَةِ » . فَأَوَّلُ الْمَرَاتِبِ عِبْدُهُ ، ثُمَّ عِبُودِيَّةٌ ، ثُمَّ عُبُودَةٌ . فَالْعِبَادَةُ لِلْعَوَامِ (3) ، وَالْعِبُودِيَّةُ لِلْخَوَاصِّ ، وَالْعُبُودَةُ لِلْخَوَاصِّ الْخَوَاصِّ (4) . ١ هـ

قلت : وَالْعُبُودَةُ هِيَ الْخَرِيَّةُ الْمَوْهَبَةُ . . . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

35- الْقَنَاعَةُ : « الْاِكْتِفَاءُ بِالْقِسْمَةِ ، وَعَدَمُ التَّشَوُّفِ لِلزِّيَادَةِ ، وَالِاسْتِعْمَالُ بِمَوْجُودٍ ، وَتَرْكُ التَّشَوُّفِ إِلَى الْإِفْقَادِ » (5) وَهِيَ حَيَاةُ الطَّيْبَةِ 10 وَارْتِقَ احْسَنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا » (6) عَلَى قَوْلِ آيِ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ قَتَلَ بَعْضُهُمْ ، أَوْ مَاتَ لِبَرَرَةٍ ، اللَّهُ مِنْ بَقِيٍّ مِنْهُمْ رِزْقًا حَسَنًا ، وَهُوَ مِنْ ثَمَرَةِ الْعَدِّ بِاللهِ قَالَ وَهَبُ بْنُ مَنْبِهِ (7) : إِنَّ الْعَرَّاءَ وَلَعْدَ حَرَجٍ يَجُولَانِ فَتَقِيَّ الْقَنْدَعَةَ فَسَتَقِرَّا فِيهَا ، وَمَرَّحَعَهَا إِلَى سَدِّ بَابِ الطَّمَعِ ، وَفَتَحَ بَابَ الْوَرَعِ ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا فَقَطْ وَأَمَّا فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ ، أَوْ فِي زِيَادَةِ الْعَمَلِ وَالتَّقِي فِي الْمَعْرِفَةِ فَمَدْمُومَةٌ . وَلَدَيْكَ قِيلَ لِقَنْدَعَةٍ مِنَ اللَّهِ حَرَمٌ . ١ هـ .

36- الْعَافِيَةُ وَهِيَ سَكُونٌ لِقُدْبٍ وَخُلُوءٌ مِنَ الْأَنْزِعَاجِ وَالْاضْطِرَابِ وَلِتَقَلْبِ

(1) فِي ب - كَر

(2) أَبُو عَلِيٍّ لِدَقَّاقِ احْسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بَيْسَانُورِي شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ . شَافِعِيٌّ لَهُ هَبْ تَوَفَّى سَنَةَ (406 هـ) . تَرْجَمَ لَهُ فِي شِدْرَاتِ بَدَهْ (180/3) - جَمْعُ كِرَامَاتِ لِأَوْيَاءَ (466/1 467)

(3) فِي ب - عَوْلَمُ .

(4) بَصْرَ قَوْلِ أَبُو عَلِيٍّ لِدَقَّاقِ فِي الْمِرْسَالَةِ لِقَشِيرَةِ (ص 197)

(5) قَدْ تَرَدَّدَ الْكَلَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَنْ خَفِيفٍ لِمُتَوَفَى سَنَةَ (371 هـ - 982 م) تَرْجَمَ لَهُ فِي الْمِرْسَالَةِ لِقَشِيرَةِ (ص 420) . انْظُرْ تَعْرِيفَهُ بِنَفْسِ « الْقَنَاعَةُ تَرْكُ التَّشَوُّفِ إِلَى الْإِفْقَادِ وَالِاسْتِعْمَالُ بِالْمَوْجُودِ » لِمِرْسَالَةِ الْقَشِيرَةِ (ص 160)

(6) سُورَةُ خُحِّيَّةٍ 58 .

(7) وَهَبُ بْنُ مَنْبِهِ بْنُ كَامِلِ الْبَيْهَقِيِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَسَدِيُّ تَبْعِيٌّ ثِقَةٌ كَانَ وَالِيًا عَلَى فَصَاءِ صَبْعَاءَ . تَوَفَّى سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ وَفِيلَ سَنَةِ أَرْبَعٍ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ . تَرْجَمَ لَهُ فِي تَارِيخِ ثُلُثَاتِ لِلْعَجَبِيِّ (ص 467) - صِفَةُ الصُّفْوَةِ (2 / 174 177) - تَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ (11 - 166)

ثم إن كان بالسكود إلى الله والرصد عنه فهي العافية الكاملة ، وإن كان بجريده .
 لأسباب الموفقة فهي العافية العديدة وفي الحديث : « ما أُعْطِيَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ
 خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ » (١٠١) فعافية العامة سكونهم إلى الأسباب .

فإذا انخرمت اضطربت قلوبهم ، وتزلزت بخرابها . من سور البقين ، وعافية
 لحصة سكونهم إلى مسبب الأسباب . فعافيتهم دائمة ورب يزيدهم إذا
 انخرمت الأسباب كما قال بعضهم . « نحن كالنحوم كلما اشتدت الطمة قوي
 نُورُنْ »

وقال ذو النون (2) رحمه : « لو كنت السماء من زجاج ، ولأرض من
 نحاس ، ومصر كلها عيالي ما اهتممت لهم برزق » اهـ .

وعافية خاصة الخاصة سكونهم إلى شهود الحق غائبين عن الأسباب وعدمها
 عرقى في بحر التوحيد ، وأسرار التفريد ، لا تنزل الهموم بساحتهم ولا تكدر
 صفاء مشربهم . جعلنا الله منهم . . . آمين

37 - اليقين : وهو سكود لقلب إلى الله بعلم لا بتغير ولا بتحول ، ولا
 يتقلب ولا يزول عند هيجان المحركات ، أو ارتفاع الريب في مشاهد العيب
 وعلامته ثلاث :

رفع الهممة عن الخلق عند الحاجة وترك المدح لهم في العطية والتنزّه عن ذمهم
 عند المنعة ، فيقين العمّة بتوحيد أفعاله ، فسكنوا إليه في المنع والعطاء ويقين
 الخاصة بتوحيد صفته ، فأروا الخلق موتى ليس بيدهم حركة ولا سكود ، ويقين
 خدصة الخاصة بتوحيد دته فشهدوه في كل شيء ، وعرفوه عند كل شيء ، ولم

(1) أخرجه الترمذي في مسنده كتاب الدعوات (105) ، باب من أوتى الدعوات حديث
 (3569) (3275) من رواية معد بن رفاعه عن أبيه بلفظ « سلوا الله العفو والعافية
 فإن أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية » قال الترمذي هذا حديث حسن عريب من
 هذا الوجه عن أبي بكر وقد تفرد به لترمذي من بين الكتب الستة .

(2) ذو النون بن إبراهيم المصري أبو القيص توفى سنة (245 هـ 859 م) ترحم له في
 طبقات الصوفية للسلمي (ص 27 34) الرسالة الغشيرية (ص 433)

يشهدوا معه شيئاً .

38 - 39 - 40 - علم اليقين ، وعين اليقين وحق اليقين : علم اليقين ما كان ناشئاً

عن البرهان ، وعين اليقين ما نشأ عن الكشف ، وحق اليقين ما نشأ عن الشهود والعيان ، فعلم اليقين لأرباب العقول من أهل الإيمان ، وعين اليقين لأرباب لوحدان من أهل الاستشراق على العيان ، وحق اليقين لأهل الرسوخ والتمكين في مقام الإحسان . ومثال من ذلك : كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها ١١ فعنده علم اليقين بوجودها ، فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فعنده عين اليقين ، فإذا [دخلها] (١) وعرف طرفها ومآكها ، فهذا عنده حق اليقين ، وكذلك النفس في معرفة الحق تعالى [متسفوتون] (٢) ، فأهل الحجاب استدلوا حتى حصل لهم العلم ليقيني بوجود الحق ، وأهل السير من المريدين المستشرفين على الفناء (٣) في (٤) الذات حصل لهم عين اليقين حين أشرق عليهم أنوار المعاني ، وعدت عليهم ضلال الأواني ، غير أنهم بقور في دهشة الفناء ، لم يتمكنوا من دوام شهود الحق ، فإذا تمكنوا من دوام شهوده ورسخت أقدامهم في معرفته حصل لهم حق اليقين ، وهذه نهاية النعمة وغاية السعادة . جعلنا الله منهم بمه وكرمه .

41 - النعمة : هي ملازمة الأفراح ومباعدة الأتراح (٥) وإصابة الأعراض ونزاهة

الأعراض ، وهي على قسمين نعمة ظاهرة كالصحة والعافية والكفاية من الحلال ، ونعمة باطنة كالإيمان والهدية والمعرفة ، والناس في النعمة لظهره على ثلاثة أقسام .

قوم فرحوا بالنعمة لم لهم فيها من المتعة فحجوا بها عن المنعم ، وقوم

(١) ما بين المعقوفين في أ عرفها ، لتصويب من ب

(٢) ما بين المعقوفين سقط من أ . الريدة من : ب

(٣) سقط من ب .

(٤) في ب على

(٥) في ب لا ارتياح وتصوب هو الأتراح كما هي . . والترج صدق فرح .

فرحوا بالنعمة لإقبال المتع عليهم حيث ذكروهم بها . وقوم فرحوا بالنعمة دور شيء سواه .

قال الله تعالى . ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (١) . فشكر الأولين يزول بزوالها ، وشكر الثالث دائم في السراء والصراء . وهذا هو شكر الحواص
42 - الفِرَاسَةُ : وهي خاطر يهجم على القلب أو ورد يتجلى فيه لا يخطئ غالباً إذا صف القلب . وفي الحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » (2) وهي على حسب قوة القرب والمعرفة . فكلما قوي القرب وتمكنت لمعرفة صدقت الفِرَاسَةُ لأن الروح إذا قربت من حضرة الحق لا يتجنى فيها غلباً إلا الحق . وهي ثلاث مراتب (3) . فِرَاسَةُ الْعَامَةِ وهي كشف ما في ضمائر (4) الناس وما غاب من أحوالهم وهي فتنة في حق من لم يتخلق بأخلاق الرحمن . وفِرَاسَةُ اخِصَّةٍ وهي كشف أسرار لمقامات والمنازلات والاطلاع على أنوار الملكوت . وفِرَاسَةُ خِصَّةٍ وهي كشف أسرار لذات وأنوار الصدقات . وللفرق في حُرّ أسرار الجبروت . وقال الكتاني (5) . « هي مكاشفة لخلق ومعديّة الغيب » . وقال الواسطي (6) « هي سواطع أنوار الذات وتمكين جملة السرائر في لغوب . من

(1) سورة الأنعام ٩١

(2) أخرجه ترمذي في سننه كتساب للفسر ، باب ومن سورة احمر حدث (3138) 88 / 5 قال المرمدي هـ حديث غريب إلى معرفة من هذا الوجه من رواية أبي سعيد ، الحدرى من طريق عطية لعوفي قد عه من حمر في كاه تقريب البهت « صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مُدَلِّساً (1 / 678) رقم 4631 . وأخرجه الطبراني من رواية أبي أمامة بسند حسن في معجمه الألف سطر حديث (3254) 3 / 312

(3) سقط من - (4) - صمير

(5) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني أصله من بغداد ، صاحب احسد ، مات سنة (322 هـ 934 م) . ترجم له في صفت الصوفية ص (282 - 286) . لرسالة لقشيرية ص (ص 427)

(6) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي . أصله من فرغانة ، صاحب حيد والنوري توفي سنة (331 هـ 942 م) . ترجم له في طبقات الصوفية ص (232 - 235) . لرسالة القشيرية ص (439 - 440)

غيب إلى غيب حتى يشهد الأنبياء من حيث أشهده الحق إيها فيتكلم على ضمائر الخلق اهـ . قلت : قوله فيتكلم إلخ : ليس بشرط في فراسة اخصة والله تعالى أعلم .

43- الخلق : وهي ملكة تصدر عنه الأفعال عنه بسهولة ثم إن كنت الأفعال حسنة كالعلم ، والعفو ، والجود ونحوها سُمِّيَ خُلُقًا حسنًا ، وإن كانت سيئة كالغضب والعجلة والبخل سُمِّيَ خُلُقًا سيئًا .

قال وهب . ما تَخَلَّقَ عبدٌ بخلق أربعين صحتاً ، إلا جعل الله له ذلك طيبة فيه ، فخلَّقَ الحسن يُكْتَسَبُ ، وليسِّيءٌ يُجَاهَدُ حتى يزول . واخلَّقَ الحسنُ بعدل الصيام والقيام ، وهو ثمرة التصوُّف ، فمن لم يحسن خلقه فتصوَّفهُ أشجارٌ بلا ثمار ، ومرجع حس الخلق : ألا تغضب ، ولا تعضب ، ولا تبخل ولا تحقد وبالله التوفيق .

44 - 45 - 46 - الجودُ والسَخاءُ والإيثار : (فالجودُ أن لا يصعب عليه البذل) (1) فمن أعطى البعض وأبقى الأكثر فصاحب سحاء ، ومن بذل لأكثر فصاحب جود ، ومن قاسى المضراء وأثر غيره فصاحب إيثار ، فجود العامة بالأمول ، وجود الخاصة بالنفوس ، وجود خاصة الخاصة بالأرواح . يبذلونها للموت بالمجاهدة ، ثم نحيا الحياة الأبدية بالمشاهدة (2) .

47- الفقر : وهو نفرض البد من الدنيا ، وصيانة القلب من إظهار الشكوى . (ونعت الفقير المصدق ثلاثة أشياء : صيانة فقره ، وحفظ سره ، وقمة دينه) (3) وقار جعفر الخُلَّبِي : خدمتُ ست مئة شيخ ، فم وجدت من شفا قبي من أربع مسائل حتى رُئيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم . فقال لي : اسأل عن مسألك ؟ فقلت . يا رسول الله ما العقل ؟

-
- (1) ما بين علامة لتعريف مقتبس من الرسالة لفشيرية (ص 247) .
 (2) عن الجود والسخاء صر الرسالة القشيرية (ص 247 254) .
 (3) ما بين علامة التعرف مقتبس من الرسالة القشيرية (ص 273) وفيه مكر « وقمة دينه » « وأداء فرضه » .

فقال : « أذنه ترك الدنيا ، وأعلاه ترك التفكير في ذات الله »

فقلت : وما التوحيد ؟

فقل : « كل ما أتى به الوهم أو جلاه الفهم ، فرنا عز وجل مخلف بذلك » .

فقلت : وما التصوف ؟

فقل : « ترك الدعاوي ، وكتمن المعاني » .

فقلت : وما الفقر ؟

فقل : « هو سرُّ من أسرار الله يُودِعُهُ فيمن يشاء من عبده ، فمن كنمه فهو من أهله ، وزاده الله منه ومن بح به نفعه الله عنه » اهـ

قلت : جَوَّبَ كل إنسان على قدر مقدمه كما قال عليه السلام « خَاطَبُوا النَّاسَ بِقَدْرِ مَا يَفْهَمُونَ » (1)

فقوله عليه السلام في العقول : أعلاه ترك لتفكر في ذات الله

أما التفكير في كُنْهِ لِرُبُوبِيَّةٍ منهى عنه : إذ لا يُدْرِكُ . وأما التفكير في أسرار الرُّبُوبِيَّةِ ونِوَارِ صِفَاتِهَا ، فلا عبدة أعظم منها .

وقوله أيضًا [عليه السلام] (2) في التوحيد (3) : « كل ما أتى به

(1) حديث ورد بلفظ « أُمِرْتُ أَنْ أُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ » قال ابن حجر

سنده ضعيف جداً لا موضوع . نص فيص القدير لعبد لرؤوف لدوي (3 - 378)

المكتبة التحيرية مصر ط 1 سنة (1356 هـ) وفي كذب المعني عن حمل الأسم

للعامة زين الدين العراقي أنه قال حديث « كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما

ينكرون » رواه البحري موقوف على علي ، ورفع أبو منصور ديلمي في مسد

الفردوس من طريق أبي عييم . كذب المعني في تحريح ما في الإحياء (1 / 39)

(2) ما بين المعقوفين سقط من .

(3) عن صفة التوحيد نظر كتاب للمع في تريح التصوف الإسلامي لأبي نصر

عبد الله سراج طوسي (ص 29 - 34) واتعرف لمذهب أهل لنصوف لئلا يذني ص

(154، 153) و لرسالة القشيرية (ص 298 - 303) .

الوهم .. إلخ) . الوهم لا يدرك إلا حسّ الكائنات . فهو قصير . ولهم بلا ذوق ، لا يدرك سرّ التوحيد لأنها خرجة عن الوهم ودرك العقل . فظهر معنى قوله عليه السلام : كل ما أتى به الوهم .. إلخ . وقوله عليه السلام في شأن الفقر : من كتمه فهو من أهله . أي يكون من السابقين . ويريده تعالى من أسرارهِ وأنوارهِ . وهى حلاوة المعاملة والمعرفة

يحكى . عن أبي علي الدقاق أنه جلس يوماً مع بعض أصحابهِ . فكنت معه عملة حتى شكى ضيق حالهِ . فلما تفرق أصحابهِ . نام بعضهم . فهدف به هدف وقال : بالله أبغ أب عبد الله الدقاق 13 ما أقول لكم . ثم أنشد :

قل هو ويحمل من ذوي الأقدار الفقر أفضل شيمة الأحرار
يا من سكا للخلق فعلة ربّه هلا شكوت تحمّل الأوزار
إنّ الذي ألبست من حلل التمني لو شاء ربك كنت عنه عار

48- الذكر : وهو إذا أطلق ينصرف لذكر اللسان . وهو ركن قوي في طريق الوصول . « وهو منشور الولاية ، فمن ألهم الذكر فقد أعطى المنشور . ومن سلب الذكر فقد عزل » (1) . فذكر العامة باللسان . وذكر الخاصة بالحنن . وذكر خاصة الخاصة بالروح والسر . وهو الشهود والعيان . فيذكر الله عند ذكر (2) كل شيء . وعلى كل شيء . أي يعرف الله فيه . وهنا يخرس اللسان ويبقى كالمبهوت في محل العين . ويعد ذكر اللسان في هذا المقام ضعفاً وبطالة كما قال القائل .

مَا إِنْ ذَكَرْتُكَ إِلَّا هَمَّ يَلْعَنُنِي (3)
سَرِّي وَقَلْبِي وَرُوحِي عِنْدَ ذِكْرِكَ
حَتَّى كَأَنْ رَقِيباً مِنْكَ يَهْتَفِ بِي
إِيَّاكَ وَيَحْكُ وَالْتَذَكَارُ أَيْسَاكَ

(1) ما بين مردوحتين ورد في الرسالة القشيرية عن سنان أبي علي الدقاق وفيه مكسر « فمن

ألهم » قوله « فمن وفق » (ص 221)

(2) سقط من

(3) في الرسالة القشيرية . يرْحُنِي . (ص 223)

أَمَا تَرَى الْحَقَّ قَدْ لَاحَتْ شَوَاهِدُهُ وَوَاصَلَ الْكُلَّ مِنْ مَعْنَاهُ مَعْنَاكَ (١).

وقال الواسطي : مشيرٌ لهذا المقدم : الذاكرون في ذكره أشدُّ غفلة من الناسين² لذكره : لأن ذكره سواء . هـ .

49- الوقت قد يطبقونه على ما يكون العبد عليه في الحال من قبض أو بسط أو حرب أو سرور .

وقال أبو علي الدقاق . « الوقت ما أنت به الحال ، فإن كنت بالدين فوقتك الدنيا ، وإن كنت بالعقبى فوقتك العقبى » (3) يريد أن الوقت ما كان المقلب على الإنسان ، وقد يعنون به الزمن الذي بين الماضي والمستقبل .

يقولون . (الصوفي ابن وقته) يريدون . أنه مشغول به هو أولى به في الوقت (4) لا يَبْهَرُ في مستقبل ولا ماضٍ . بل يهيم به هو فيه . وكل وقت له آداب يطلب فيه . فمن أخلَّ بأدبه مَقْتَه ووقته ، ولذلك قيل . « الوقت كالسيف فمَنْ لَا يَتَنَّهُ سَنِمَ . ومن خَاشَهُ قَصِمَ » (5) وملاينته القديم بأدبه . فوفت القهرية آدابه الرضا والتسليم تحت مجاري الأقدار . ووقت النعمة آداه الشكر . ووقت الطاعة آدابه شهود المنة من الله . ووقت المعصية آدابه التوبة والإنابة .

50- الحال والمقام « الحال » معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتهاد ، ولا تسبب ولا اكتساب . من بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج . أو هيبه أو هتياج (6) . ويظهر أثره على الجوارح قبل التمكين . من شطح ورقص وسير وهيام : وهو أثر المحبة لأنها تحرك الساكن أولاً . ثم تسكن ونطمئن . ولذا

(1) هذا البيت وحده لم يرد في الرسالة بينما يبين الأولين ورد في الرسالة تفسيرية (ص 223)

(2) ب . ناس .

(3) ما بين امرود حين ورد في الرسالة (ص 55)

(4) لرسالة (ص 55)

(5) في لرسالة اصطلم أي استوصل

(6) ما بين المزدوجتين ورد في الرسالة (ص 57)

قبل فيها : أوَّها جنود ، ووسطها فنون ، وآخرها سكون . وقد بكتسب حل
بنوع ، كحضور حلق الذكر واستعمال السماع وقد يطبب 14 كسابه بحرُق
عوائد النفس حين يعتريها برودة وقتور [وفرق ⁽¹⁾] وحزن ⁽²⁾ وكسل ، فينعي
أن يتحرك في نسخينها بم يثقل عسيها من خرق العوَّيد . وقد يطلق الحُل على
المقام فيقال . فلان صدر عنده الشهود مثلا حالا .

ومنه قول المجذوب .

حققتُ ما وجدتُ غيره وأُمسيتُ في الحال هان

51- وأما المقام فهو ما يتحققه ⁽³⁾ العبد بمنازلة واجتهاد من الأدب ⁽⁴⁾ . وما
يتمكن فيه من مقامات اليقين بنكسب وتطسب فمقدم كل أحد موضعُ قِسمته
فالمقامات تكون أولا أحوالا حيث لم يتمكن لمريد منها : لأنها تتحول ثم نصير
مقامات بعد التمكين كالطوبة مثلا تحُصُّ ثم تنقصُ حتى تصير مقاما وهي لبوة
الصوح . وهكذا بقية المقامات وشرطه ألا يرتقي مقاما حتى يستوفي أحكامه
فمن لا توبة له . لا تصحُّ له إنابة . ومن لا إنبة له . لا تصح له ستقامة .
ومن لا ورع له لا يصح له زهدٌ . وهكذا وقد يتحقق المقام الأول بلثاني د
ترقى عنه قبل إحكامه . إن كان له شيخ كمال . وقد يطوي عنه المقامات ويدسه
إلى الفناء إن رآه أهلا بتوقُّد قسريته ودرقة فطنته . فالأحوال موهب . والمقامات
مكاسب . هذا معنى المقام بفتح الميم . وأم [المقدم] ⁽⁵⁾ بالضم فمعناه الإقامة
ولا يكمل لأحد منازلة مقام إلا بشهود إقامة الحق تعالى فيه .
وفي الحكم . من علامة النجاح في النهاية ⁽⁶⁾ الرجوع إلى الله في البداية ⁽⁷⁾ .

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من ب (2) سقط من ب .

(3) في الرسالة القشيرية يتحقق ه (ص 56)

(4) راجع هذا التعريف في الرسالة القشيرية (ص 56)

(5) ما بين المعقوفتين سقط من أ . لزيادة من ب

(6) في ب النهايات (7) في ب بدايات

وقل أيضاً « من كنت بالله بدايته كانت إليه نهايته »^(١).

القبض والبسط^(٢) . وهما حالتان بعد لتزقي من حال الخوف و لرجاء

فالقض للعارف بمنزلة الخوف للطالب . و لبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمريد .

والفرق بين الخوف والقبض - وبين الرجاء والبسط ، أنَّ الخوف متعلقه

مستقبل ، إما فوت محبوب ، أو هجوم محذور . بخلاف القبض فإنه معي

بحصل في القلب . إِمَّا بسبب أولاً ، وكذلك الرجاء يكون لانتظار محبوب في

لمستقبل ، والبسط شيء موهوب يحصل في الوقت . فحقيقة القبض انكماش

وصيق يحصل في القلب ، يوجب السكون والهدوء . والبسط بطلاق وانسراح

للقلب ، يوجب التحرك والابسط ، ولكل واحد كذب مذكورة في المطولات^(٣).

54 - 55 - الخواطر والواردات : « خواطر . خطبات تَرِدُ على القلوب »^(٤) تكون

بالقاء منك أو شيطر أو حديث نفس ، فإذا كان من الملك فيلهم ، أو من الشيطر

فوسوس ، أو من النفس فهو احس ، فما وافق لحق ودعا إلى تباعه فمن الملك .

وما وافق البطر أو دعا إلى معصية غالباً فمن الشيطان . وقد يدعو إلى الصعة

حيث يتسرب عنها^(٥) معصية ، كالرياء وحب المدح ، وما دعا إلى اتباع الشهوة

والدعة^(٦) أي الراحة فمن 15 / النفس^(٧).

قال أبو عبي الدقاق . « من أكل حرام لم يُفرَّق بين^(٨) الإلهم والوسوس .

وكذلك من كان قوته معدوماً »^(٩) . هـ .

(1) الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري (ص 153)

(2) قل تعالى ﴿وَاللَّهُ بِقُضْ وَيُصْطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة 245]

(3) راجع هـ ، تعريف في الرسالة قشيرية (ص 58) .

(4) في ارسالة الصمدنر (ص 83)

(5) في ب عبيها (6) في ب الردعة

(7) صر تعريف خواطر في ارسالة (ص 83 ، 84)

(8) لورد عبد أبي علي الدقاق « من كان قوته معلوماً لم يفرق بين الإلهم ووسوسه .

وإن من سكنت عنه هو جس نفسه صديق محبذته يطق بيان نفسه بحكم مكنته »

الرسالة (ص 84)

وفرق الجنيد بين هواجس النفس ووسواس الشيطان، بأن ما دعت اليه النفس لا تنتقل عنه بل تعاود مرة بعد مرة، إلا بعد مجاهدة كثيرة، ووسواس الشيطان ينتقل عنها فإذا خالفته في معصية انتقل لأخرى، وربما ذهب بالنعوذ وحوه، ولذلك كنت النفس أخبث من سبعين شيطان

56- وأما الواردات : فهو ما يرد على القلوب من التجنيدات القوية، والخواطر المحموددة بما لا يكون للعبد فيه تكسب، والفرق بين الخواطر ولواردات، أن لواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تحتص بنوع خطاب و ما يتضمن معناه، ولواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط، ووارد شوق، ووارد خوف، إلى غير ذلك من المعاني (1) وقد يحتطه عن شاهد حسه وهو قريب من الحال، وقد يأتي لوارد بكشف غيب فيجب تصديقه إن صفا القلب من كدورات الخواطر والله تعالى أعلم.

النفس والروح والسر النفس عند القوم عبارة عما يذم من أفعال العبد وأخلاقه فالأول ما كان من كسب العبد كمعاصيه ومخلفته.

والثاني ما كان من جبلته (2) وطبيعته، كالكبر والحسد والعضب، وسوء الخلق وقلة الاحتمال، وغير ذلك من الأخلاق لذميمة، ينسب لنفس أدب مع الحق، والروح عبارة عن محل التحليلات الإلهية، وكشف الأنوار، الملكوتية والسر عبارة عن محل تجليات الأسرار الجبروتية، فالنفس ليعوم، ولروح لخواص، والسر لخواص لخواص، (3) والنفس لأهل عالم الميث، ولروح لأهل عالم الملكوت، والسر لأهل عالم الجبروت، وستأتي حقائقها، وهل النفس والروح [السر] (4) متعددت في نفسها أو متحدة، وبما تختلف التسمية باختلاف التصفية. قال بعضهم: « النفس (5) لطيفة مودعة في هذا القلب هي

(1) انظر تعريف في الرسالة (ص 85)

(2) حصة، اخذته ولطيفة لسان لعرب لأن منظور مادة. « جبل » (11 98)

(3) سقاط لواو من أ، الإثبات من ت

(4) ما بين المعقوفتين سقط من أ، الزيادة من ب لإتداء السياق

(5) في الرسالة الروح

محلُّ الأخلاق المعنوية . كما أن الروح لطيفة مودعة في هذا القلب هي محلُّ لأخلاق المحمودة ، ومحلها وحد وهو الإنسان . فالنفس والروح من الأجساد لطيفة . كالملائكة والشيطين وهما ساكنان في الإنسان ، فكما أن البصر محلُّ الرؤية . والأذن محلُّ السمع . والأنف محلُّ الشم من ذات واحدة فكذلك محلُّ الأوصاف الذميمة النفس . ومحلُّ الأوصاف حميدة لروح (1) .

وَمَا السِّرُّ فَهُوَ لطيفة مودعة في القلب [كلروح] (2) إلا أنه أشرف من الروح لكمال أوصافه (3) .

وقل لساحلي . النفس والقلب وروح ولسر والبطن أسماء لمسمى واحد . وهو اللطيفة الربنية (4) التي كان الإنسان بها إنساناً وتختلف أسماءها باختلاف أوصافها ، فإن مالت لجهة النفس سميت نفس ، وإن تخصصت من مقدم الإسلام إلى مقام الإيمان سميت قلباً ، وإن تخصصت منه إلى مقدم الإحسان . ولكن بقي فيها أثر النقص كأثر جراحات بعد البرء . سميت روحاً ، وإن ذهب ثلث الأثر وصفت سُمِّيَتْ سِرّاً (4) . وإن أشكل لأمر سميت بالباطن . هـ . و لاختلاف في لروح شهير . قال بعضهم : [هي الحياة] (5) . وقال بعضهم . أعيان (6) مودعة في هذه القولب أجرى الله لعادة بخلق الحياة في القولب مدمت الحياة فيه . فالإنسان حي (7) بالحياة . ولكن الأرواح مودعة في القولب (8) ولها ترقُّ في حل النوم . ومفارقة ورجوع (9) . [وهي التي وقع بها لفتح .

(1) انظر هذا التعريف في الرسالة (ص 87) مع تصرف بسيط رسالة

(2) ما بين معقوفتين سقط من . ' الريدة من ب

(3) في أ . صفته ، لتصويب من . ب

(4) في أ . لسر ، ولصواب ما أثبتته من . ب .

(5) ما بين معقوفتين سقط من . ب . وثابت في ' . وفي الرسالة « بها حياة »

(ص 88)

(6) في ب . ' [هي أعيان] ، وفي الرسالة [بها عين] (ص 88) .

(7) في : وب . حق . التصويب من الرسالة (ص 88) .

(8) في رسالة للقلب

(9) نظر التعريف في الرسالة (ص 88)

وَأَمَّ النَّفْسُ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ فِي الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْحِ لُروحٍ بِهَا يَقَعُ التَّنَحْرُكُ . وَهِيَ مَلَامَةٌ لِلْبَدَنِ لَا تَفَارِقُهُ إِلَّا بِالمَوْتِ ، فَتَخْرُجُ الرُّوحُ أَوَّلًا ثُمَّ تَنْقَطِعُ النَّفْسُ . فَتَنْقَطِعُ الْحَيَاةُ^(١) . فَالْإِنْسَانُ رُوحٌ [وَنَفْسٌ]^(٢) وَجَسَدٌ . وَالْحَشَرُ لِدَجْمَةِ . وَكَذَلِكَ الْعُقَابُ وَالثَّوَابُ وَالْأَرْوَاحُ مَخْلُوقَةٌ قَبْلَ الْأَبْدَانِ سَارِيَةً فِيهَا سَرِيانَ الذَّرِّ فِي النَّحْمِ . وَالمَاءُ فِي الْعُودِ الْأَرْطَبِ . ١ . هـ

قُلْتُ : هَذِهِ الْأَعْيَانُ الْمَوْدَعَةُ فِي الْقَوَالِبِ هِيَ الْبَطِيفَةُ الْبَرَّانِيَّةُ^(٣) لِلْإِلَهِيَّةِ . وَهِيَ الَّتِي تَتَطَوَّرُ وَتَخْتَلِفُ أَسْمَاؤُهَا بِاخْتِلَافِ تَطَوُّرِهَا كَمَا قَدْ لَسَّ حَلِيٌّ وَلِلَّهِ أَعْلَمُ . وَكَوْنُ الْأَرْوَاحِ حَادِثَةٌ يَجْرِي عَنْهُ مَذْهَبُ أَهْلِ الْفَرَقِ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْجَمْعِ فَلَا حَادِثَ عَنْدهُمْ لِفَنَاءِ الْكَائِنَاتِ عَنْ نَظَرِهِمْ .

قَالَ الْجُنَيْدُ إِذَا أُقْرِئَ الْحَادِثَ بِالْقَدِيمِ . تَلَاشَى الْحَدِيثَ وَيَقْبِي الْقَدِيمَ . وَسَأَلْتُ بَعْضَ إِيخْوَانِي^(٤) الْعَارِفِينَ هَلِ الْأَرْوَاحُ حَدِيثَةٌ أَوْ قَدِيمَةٌ ؟ فَقُلْتُ : الرَّحَلُ الْأَسْبَحَ عَنْدهُمْ قَدِيمَةٌ . هـ . يُشِيرُ إِلَى مَقَامِ الْفَنَاءِ كَمَا تَقَدَّمَ لَكِنَّهُ سِرٌّ مَكْتُومٌ .

60 - 61 - 62 - النَّصْرُ وَالتَّائِيدُ وَالْعَصْمَةُ :

النصر : تقوية الجوارح على فعل الخير .

والتأييد : تقوية البصيرة من داخل . فَالْبَاعِثُ الْبَاطِنِي تَأْيِيدٌ . وَالْبَطْشُ وَمُسَاعَدَةٌ الْأَسْبَابِ^(٥) مِنْ خَارِجِ نَصْرِ . وَهُوَ جَامِعٌ لِلْهَدْيَةِ الَّتِي مَرَّجِعُهَا لِبَصِيرَةِ الْعَلِيَّةِ الْكَاشِفَةِ لِمَا عَلَيْهِ الشَّيْءُ بِحَقِيقَتِهِ . وَالرُّشْدَ الَّذِي مَرَّجِعُهُ إِلَى الْإِرَادَةِ الْبَعِثَةِ إِلَى جِهَةِ الْمُسَاعَدَةِ وَالتَّسْدِيدِ الَّذِي مَرَّجِعُهُ إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى تَوْجِيهِ الْحَرَكَاتِ إِلَى صَوِّبِ الْمَطْلُوبِ وَتَسْيِيرِهَا عَلَيْهِ . وَيَقْرُبُ مِنَ التَّائِيدِ الْجَمْعُ لِمَا ذَكَرَ الْعَصْمَةَ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ وَجُودِ إِلَهِيٍّ يَسْبَحُ فِي الْبَاطِنِ يَقْوَى بِهِ الْإِنْسَانُ عَلَى تَحْرِيزِ إِخْيَرِهِ وَتَحْنَبِ الشَّرِّ حَتَّى يَصِيرَ كَمَا نَعَى فِي بَاطِنِهِ غَيْرَ مُحْسُوسٍ ، قَالَهُ الْغَزَالِيُّ .

(1) م بين المعقوفتين سقط م أ . لزيادة م ب .

(2) م بين المعقوفتين سقط م أ . لزيادة م ب .

(3) ساقط م ب .

(4) في ب الإخوان (5) ب . الأشباح .

فهذه سِتُّ حقائق . الهداية والرشد والعصمة والتسديد والنصر والتأييد
وقد علمت كلها من كلام الغزالي رحمته . والتحقيق . أن الهداية هي : تصويب
العبد إلى طريق توصله إلى الحق . وقد تطلق على بيانها فقط . والرشد هو
«توجيه القلب إلى طريق السعادة» . والتسديد هو : القدرة على سلوك طريق
17 الخير وتجنب الشر . والعصمة هو جود إلهي إلى امر ما تقدم

66- الحكمة⁽¹⁾ . وهي إتقان الشيء وإبداعه . ففي العلم : تحقيقه والعمل
به، وفي القول : إيجازه وكثير معانيه . وهي العمل إتقانه وإكماله
ويقول . نزلت الحكمة على ثلاث فرق على السنة العرب وأيدي الصين
وعقول اليونان والله تعالى أعلم .

67- العقل : وهو نور يُمَيَّرُ به بين النفع والضار ، ويحجز صاحبه عن
نكاب لأوزير . ونور روحاني تدرك به النفس لعدوم لضرورية والنظرية . أو
قوة مهيئة لقبول اعلم سمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عما لا ينبغي . وهو على
قسمين . عقل أكبر . وعقل أصغر . أم العقل الأكبر : فهو أول نور أظهره الله
لوجود . ويقال له . الروح الأعظم . ويسمى أيضاً بالقبضة المحمدية . ومن
نوره يمد العقل الأصغر كمنداد القمر من نور الشمس . فلا يزال نوره ينمو
بالطعة والرياسة والتطهير من الهوى . حتى يدخل العبد مقام الإحسان وتشرق
عنه شمس العرفان فينصفي نوره في نور العقل الأكبر كخطوء نور القمر عند
طلوع الشمس فيرى من الأسرار والغيوب ما لم يكن يره قبل . لأن العقل الأصغر
نوره ضعيف لا يدرك إلا افتقار الصنعة إلى صانعها ولا يدري ما وراء ذلك .
خلاف العقل الأكبر فإنه يدرك الصانع القديم قبل التجلي وبعده لصفاء نوره

(1) لقد أورد الإسماعيلي في معنى حكمة قوله . والحكمة هي لني نبي لله عز وجل
عليها قدر تعسى ﴿ يُوْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة
اية 269] وقد متفق العامة . اسم حكيم في غير موضعه سم حكيم صار يطلو
على بصيب والشعر والمنحمر حتى على لدى يدحرج القرعة على أكف السودادية في
شوارع لطرق . الإحياء (1 / 41) كتاب العلم

وَشِدَّةُ شُعَاعِهِ ، وفي بعض الأخبار ، « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ : أَقْبِلْ . فَأَقْبَلَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَذْبَرْ فَأَذْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ : فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَجْعَلُكَ إِلَّا فِيْمَنْ أَحْيَيْتُ مِنْ عِبَادِي » أو كما قيل عليه السلام (1) . والحديث متكلم فيه فالعقل الأكبر لا يناله إلا المحوّن الذين اختارهم الله لمعرفة الخاصة وأما العقل الأصغر فيعطيه للخاص والعام وهو على قسمين : عقل موهوب ، وعقل مكسوب .

68 - فالموهوب : هو الذي جعله الله فيه غريزة .

69 - والمكسوب : هو الذي يُكسب بالتحريب ولريضة وارتكاب المحسن قال بعضهم ، وعلامة العقل ثلاثة تقوى الله عز وجل . وصدق حديث . وترك ما لا يعني . . هـ .

وقال عليه السلام : « ألا وإنّ من علامات العقل التجهي عن دار المعرور . والإدبة إلى دار الخود ، والتزود لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور » (2) . 1. هـ .
وقد بعض الحكماء خير ما أُعطي الإنسان عقل يزجره فإن لم يكن حيّاً يَمْنَعُهُ ، فإن لم يكن فمالٌ يَسْتَرُهُ . فإن لم يكن فصاعقة تحرقه ، تستريح منه البلاد والعباد . 1. هـ .

وهل الأرواح قبل الأشباح كاد لها عقل أم لا ؟ . والتحقيق أنّها كانت لها عقولٌ مُقْتَبَسَةٌ من العقل الأكبر ، فلذلك أقرّت بالربوبية . بل كانت علامة دركة لأشياء كما قال ابن البنا (3) . « والمعرفة والإدراك بما يكونان بالعقل ، فلما

(1) حديث « أول ما خلق الله العقل » أورده لسحاوي في كتبه بمقصد لحسن حديث (269) (ص 163) ولم يتكلم عليه السحوي رحمه الله .

(2) أخرجه لإمام العراقي في كتابه إحياء علوم الدين ، وقد الحافظ العراقي في المعنى في تخريج أحديث الإحياء . إنّ صدر هذا حديث رواه الحاكم في المستدرج

(3) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأردني ، المراكشي عرف من له كنّه محترف بالسوء قال فيه الإمام ابن رشيد سم أراً عدلاً بالمغرب إلا رحلين . من له لعددي المراكشي ، وابن الشاذلي سبته أخذ الطب عن الحكيم ابن حجة توفي سنة (721هـ) ترجم له في البدر الطالع (1، 108، 109)، بل لا يتهج (ص 90 - 83) ، لسوع (ص 213) .

برزت لعالم الأشباح أزل الله منها ذلك لعقل الذي هو من 18 العقل الأكبر ، وأثبت فيها العقل الأصغر عند جئدن الولد في البطن : فما زال ينمو إلى حتم ، وقبل ٠ إلى أربعين سنة ، فإذا اتصل العبد بالطبيب عالجه حتى يوصيه إلى العقل الأكبر ، فيكون صاحبه من الأولياء الكبار وبالله لتوفيق

- التوحيد (١) . وهو على قسمين :

70- توحيد البرهان : وهو أفراد الحق بالصفات والأفعال والذات من طريق البرهان .

71- وتوحيد العيان : وهو أفراد الحق بالوجود في الأزل والأبد

وقال الجنيد رحمه الله : هو معنى تضمن في الرسوم وتدرج فيه العلوم ، ويكون الله كما لم يزل ، وأصوله خمسة أشياء . رفع الحدث ، وإفراد القدم ، وهجران الإخوان ، ومفارقة الأوطان ، ونسيان ما علم وما جهل .

قلت . والمعنى الذي تضمن في الرسوم هو ظهور أسرار الذات . فإذا وقع لكشف عنها بغية حس الكائنات التي هي أو ان لتلك المعاني انفراد الحق بالوجود ويكون فبم لم يزل كما كان في الأزل كان [الله] (2) ولا شيء معه . وهو الآن كما كان . فيرتفع الحدث وينفرد القدم . وبهجر أصحاب هذا لذوق جميع الإخوان إلا من يستعين به على ربه ويفارق الأوصان في طلب الحق . لأن الهجرة سنة ، وينسى ما علم وما جهل . أي يغيب عنه في جنب الكثر الذي ظفر به وسئل أيضاً رحمه الله عن التوحيد فقال . لون الماء لون إياه . هـ .

ومعنى كلامه رحمه الله (3) أن الذات العلية كانت لطيفة خفية نورانية ، فمما تجت بالرسوم والأشكال تلونت بتلونها فافهم وسلم إن لم تدق

ومقامات لتوحيد (4) غير متناهية لأنها تتزايد بتزايد الكشف ولترقي . ففوق

(1) قال تعالى ﴿ وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : 163]

(2) ما بين المعنيتين سقط من : . الريدة من ب

(3) صيغة لترضى سقطت من : .

(4) انظر مقدمة لتوحيد في الرسالة القشيرية (ص 298 - 303) وكتب التعرف مذهب أهل لنصيف (ص 31 - 35) .

استوحيد التفريد . فإنه أرقُّ من التوحيد وأعلى ؛ لأنَّ التوحيد يصدو على توحيد [أهل] (1) العلم (2) . والتفريد خاص بأهل الذوق

وفوق التفريد الأُحدية والإيحادُ والفردانية والوحدانية والانفرادُ (3) : هكذا رتبهم في القوة (4) ، فالأحدية مبالغة في الوحدة . والإيحادُ مصدر أوْحَدَ لشيء إذا صدر واحداً . والفردانية والوحدانية والانفراد معناها أفراد أحق بالوجود . ولا يكون إلا بعد انطباق بحر الأحدية على الكل . بحيث لم يبق (5) وجود لغيره قط . حين يدوق ذلك دوقاً . ويغرق غرقاً . ويقال لأهل هذا المقام الأُفرد والأحاد . وهم أكمل من القطب في العلم بالله . كما قال الحاشمي (6) وخارجون عن دائرة تصرفه والله تعالى أعم .

75- حقيقة الذات العلية : هي ذات كلية أرلية لطيفة خفية متجسدة بالرسوم والأشكال منصبة بصفات الكمال . واحدة في الأزل وفيه لا يزال . هذا رسمها بالخواص ، وأما كنه الحقيقة فلا يحيط بها إلا هو تعالى . [وقوله ذات كلية . هو على مذهب أهل الفناء الذين لا يرون مع الله 9 . شيئاً كما قل لشعر :
مُدَّ عرفت الإله لم أر غيراً وكذا الغيرُ عندنا ممتنعٌ

فالذات العلية هي كلية الأشياء (7) وعين ذننها كما قال الحيلاني (8) مبيح (9) في عينيته .

هو موجدُ الأشياء وهو وجودُها وعين ذوات الكل وهو الجوامعُ

- (1) ما بين اعقفتين ساقط من السحتين (دناه من المصوح لينم به لسبق
- (2) في ب العلوم (3) سقط من ب
- (4) في ب لقوت . (5) سقط من ب
- (6) هو محيي لدين بن عربي الفقيه بصري من أعمال مربة بالأندلس وفي سنة (638 هـ) قرطبة ترحم له في شبرات ذهب (5 190)
- (7) سقط من ب
- (8) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله حيلاني أه كبلاني مؤسس الطريقة القادرية من كبار الزهاد توفي سنة (561 هـ) . ترحم له في شبرات ذهب (4 984) .
- الطبقت الكبرى للشعراني (. 126 - 132) رقم (248)
- (9) صيغه لترضي سقطت من

ولا يفهم هذا إلا أهل الفناء من أهل الأذواق، وهذا هو التوحيد الخاص أعني (1) انفراد الحق بالوجود كما تقدم [(2)]

76- العما : [معناه السحاب] (3) هو عبارة عن صفات الذات العنية في الأزل (4) قبل التجلي ، وحقيقته فضاء لطيف خفي صاف لا يدرك لأحد لفوقيته ولا لنحتيته ، ولا لجوانبه الأربع ، ولا نهية لأوليته ولا لأخريته ، خال عن الرسوم والأشكال ، متصف بأوصاف الكمال من القدرة والإرادة والعلم والحياة وسمع والبصر والكلام ، ويجمعه قول ابن الفارض (5) في خمريته :

يقولون لي صفها فأنت بوصفها خير أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم

ثم تجت بالرسوم والأشكال بحيث صار اللطيف كثيف والخفي ضاهراً والغيب شهادة ، فما كان في الأزل هو عين ما تجلّى به في الأبد كد الله ولا شيء معه ، وهو الآن عني م عليه كان . وفي حديث الترمذى عن أبي رزين لعقيلي قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في عمى ما فوقه هواء ، وما تحته هواء » . . ه .

أي كن في خفاء ولطافة ، ليس فوقه هواء ، ولا تحته هواء ، بل عظمة ذته أحاطت بكل فوق ، وبكل تحت ، وبكل هواء .

وقيل لسيدنا عبي كرم الله وجهه . يا من عم رسول الله ، أين كد ربنا ؟ أو هل له مكان ؟ فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال : قولكم : أين الله ؟ سؤل عن

(1) في ب يعني .

(2) ما بين المعرفتين سقط من المصوع .

(3) ما بين المعرفتين سقط من السخين لريدة من المصوع

(4) سقط من ب .

(5) هو أبو حفص عمر السعدي المعروف بابن الفارض توفي سنة (32هـ) نرحم له في

شذرات ذهب (ص 5 ، 149) ، جمع كرامات لعليّة لذكوه (ص 69 ، 75)

مكان . وكان الله ولا مكان . ثم خلق الزمان والمكان . وهو الآن كما كان دون زمان ولا مكان ا . هـ .

أي كان الله (1) ولا شيء معه . وهو الآن لا شيء معه ، فافهم .

77 78 - الغناء والبقاء : إذ أطلق لغناء إنما ينصرف للغناء في الذات

وحقيقته : محو الرسوم والأشكال بشهود [حقيقة الغناء في] (2) الكبير المتعال . أو استهلاك الحس في ظهور المعنى .

وقال أبو المواهب . [حقيقة الغناء] (3) محو واضمحلال وذهب عنك ورواها وقال أبو سعيد بن الأعرابي . « هو أن تبدو العظمة والإجلال على لعد فتتسببه الدنيا والآخره والأحوال والدرجات ، والمقامات والأذكار ، يفنيه عن كل شيء ، وعن عقبه وعن نفسه وفنائه عن الأشياء . وعن فنائه عن الغناء لأنه يغرق في التعظيم . ا هـ . أي تتجلى له عظمة الذات فتغيبه عن رؤية الأشياء ومن جملتها نفسه . فتصير عين العين . ويغرق 20 في بحر الأحدية . وقد يطلق لغناء على الغناء في الأفعال . فلا يرى فاعلاً إلا الله . وعلى الغناء في الصفات فلا قادر ولا سميع ولا بصير إلا الله يعني أنه يرى الخلق موتى لا قدرة لهم ولا سمع ولا بصر إلا بالله . وبعد هذا يقع الغناء في الذات . وفي ذلك يقول الشاعر :

فَيَفْنِي ، ثُمَّ تَفْنَى ثُمَّ يَفْنَى فَكَانَ فَنَاءُهُ عَيْنَ الْبَقَاءِ (4)

وأما البقاء : فهو الرجوع لشهود (5) ، لا أثر بعد الغيبة عنه . أو شهود الحس بعد الغيبة عنه بشهود المعنى . لكنه يراه قائماً بالله . ونوراً من أنوار تحلياته . يد لولا الحس ما ظهرت المعنى . ولولا الوسطة ما عرف الموسط . فالحق سبحانه (6)

(1) سم اجلالة م يرد في أ الرده من ب

(2) م بن المعقوفين سقط من أ هـ ث في ب الرده منها

(3) م بن المعقوفين سقط من أ زيدة من ب

(4) نسبت كم ورد في لرساله على اشكر تاتي

فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقاء من قرب ربه

(5) في ب إلى شهود . (6) في ب تعالى .

تحلى بين الضَّئِدَيْنِ ، بين الحسِّ والمعنى ، وبين القدرة والحكمة وبين الفرق والجمع ، فلغية عن أحد لضدَّين فناء ورؤيتهما (1) معا بقاء ، فالبقاء اتساع في الفناء بحيث لا يحجبه جمعه عن فرقه ، ولا فناؤه عن بقاءه ، ولا شهود القدرة عن الحكمة ، بل يُعطى كُلُّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ ، ويؤفى كل ذي فسْطٍ قِسْطُهُ ، وقد يطلق الفناء على التخلي والتحلِّي فيدلُّ قَنَّا عَنْ أوصافه المذمومة ، وبقي بالأوصاف المحمودة (2) والله تعالى أعلم .

القدرة والحكمة :

79- القدرة : عبارة عن إظهار الأشياء على وفق الإرادة .

80- والحكمة عبارة عن تسُّرها بوجود الأسباب والعدل . فالقدرة تَبَرُّرٌ ، والحكمة تسْتَرُّ والقدرة لا تنفك عن الحكمة إلا ندرًا في معجزة أو كرامة أو شعوذة ، وقد تطلق القدرة على الذات بعد تجليها من إطلاق الصفة على الموصوف ، والحكمة ما يسُّرها من احْسٍّ وأوصاف لبشرية وأحكام العبودية ، فظهوره تعالى بمقتضى اسمه الظاهر يسمى قدرة ، وبطونه في ظهوره ، بمقتضى اسمه الباطن يسمى حكمة ، فتجليه تعالى من عالم الغيب إلى عالم الشهادة قُدْرَةٌ ، وحفؤه في ظهوره حكمة ، وإليه يشير قول الحكم : « سبحانه من سترَ سرَّ لخصوصية بظهور البشرية ، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية » (3) . ١- هـ

81 - 82- الفرق والجمع ، الفرق : عبارة عن شهود حس الكائنات ، ولقيم بأحكامه وآدابه من العبادة والعبودية .

والجمع : عبارة عن شهود المعنى القائم بالأشياء متصلاً بالبحر المحيط الجبروتي

أو نقول : الفرق شهود القلوب ، والجمع شهود المظاهر . فلقول محسن لشرائع والمظاهر عين الحقائق .

(1) في ب - وملاحظتهم

(2) في أ - مذمومة ، وتصوب من ب - وهو لذت

(3) لحكم لابن عطاء الله السكندري (ص 124) رقم (108)

وقال أبو علي الدقاق . « لفرق ما نُسِبَ إليك والجمع ما سُبِّحَ عنك » (1) . 1. هـ .

فالفرق بلا جمع فُسوق وجمودٌ وجهل بالله تعالى ، والجمع بلا فرقٍ زندقة وكُفْرٌ إن لم يكن سكر ؛ لأنه يؤدي إلى إبطال الشرائع التي جاءت به لرسول عليهم السلام . وإلى إبطال الحكمة والقدرة . لا تنفك عن الحكمة . ولو احب أن يكون العبد مجموعاً في فرقته معروفاً في جمعه 21 الجمع في البطل موجود . والفرق على الظاهر مشهود .

الحسُّ والمعنى

83- الحسُّ : « عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهراً » .

84- والمعنى : « عبارة عن تلطيفها باطناً » فحس الكائنات أوان حاملة للمعاني قال الششتري (2) ص 66 . « لا تنظر إلى الأواني . وخُضْ بحر المعنى لعنك تراني » .

فمثال الكون كالثلجة ، ظاهرها ثلج وباطنها ماء
كذلك الكون ظاهره حس وباطنه معنى . والمعنى . هي أسرار لذات اللطيفة لقائمة بالأشياء ، فقد سرت المعاني في الأواني سريان الماء في الثلجة .

وفي ذلك يقول قطب الأقطاب الشيخ الجيلاني رحمه الله
وما الكونُ في التمثالِ إلا كثلجةٍ وأنت لها الماء الذي هو نابعُ
فما الثلجُ في تحقيقنا غيرُ مائه وعيران في حكم دعت الشرائعُ
فلا قياس للحس إلا بالمعنى . ولا ظهور للمعنى إلا بالحس . فالمعنى رقيقة لطيفة . لا تدرك إلا بتحسسها في قوالب الكائنات . فظهور المعنى بلا حس

(1) و د هـ اسعريف في الرسالة المشبية (ص 64)

(2) هو هو احسن عبي بن عبد الله لششتري لاندسي المعري شدي كد بوه مير
سوفي سنة (668 هـ) ترجم له في عمود لدرية (ص 239 242) . من لانهاج
(ص 321 323) رقم (409)، جامع الكرمات عبدة لكوهر (ص 63 65)

مُحَالٌ ، وشهود الحسِّ بلا معنى جهل وظلمة . ولذلك قال في الحِكَمِ : « لَكُوْرُ
كُنْهُ ظُلْمَةٍ وَإِنَّمَا أَتَارَهُ طُهوْرُ الحق فيه ⁽¹⁾ . إلخ » . فلا يرى الحق تعالى إلا
بواسطة التحليلات في هذه الدر وفي تلك الدار . وفي ذلك يقول بعضهم :
وليست تُنالُ الذَّاتُ من غير مَظهرٍ ولو هُتِكَ الإنسانُ من شِدَّةِ الحِرْصِ
المُلْكُ والمَلَكُوتُ والجَبْرُوتُ :

85- المُلْكُ مظهر من حِسِّ الكائنات .

86- والمَلَكُوتُ مظهرٌ فيها من أسرار المعاني .

87- والجَبْرُوتُ البحر المحيط الذي تدفُّق عنه الحسُّ والمعنى .

والحاصل أن القبضَةَ التي ظهرت أولاً من فضاء العماء حِسُّها الظاهر مُلْكٌ ،
ومعناها الباطن ملكوتٌ . والبحرُ اللطيف ⁽²⁾ المحيط الذي تدفقت منه جبروتٌ
فأسرار المعاني رياصُ العارفين لأنها محلُّ نزهة أرواحهم . ولا شك أن المعاني
لطيفة ، لا تظهر بهجتها إلا في لحس الذي هو المُلْكُ . والحسُّ من حيث هو
مضاف إلى نبينا عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه ما ظهر إلا له . وما انشقت أسرار
الذَّاتِ إلا من نوره ، فذلك قال القطب ابن ⁽³⁾ مشيش رحمته [فرياضُ المَلَكُوتِ] ⁽⁴⁾
بزهرِ جماله مُوبِقَةٌ أي مُحَسَّنَةٌ مُعْجَبَةٌ . فقد ذكر المُلْكُ بالالتزام ؛ لأن [حمل] ⁽⁵⁾
: هو المعاني ، لا يظهر إلا في حِسِّ الكائنات وهو المُلْكُ .

(1) الحِكَمُ العطائية (ص 106) رقم (14) . وتضمنه « فمن رأى الكوْر ولم يشهدهُ فيه أو
عبده أو قبله أو بعده فقد أعورهُ وحوْد الأتوار ، وحُجِبَتْ عنه شمسُ المعارف سُحِبَ
لأثر »

(2) سقط من ب .

(3) هو عبد السلام بن مشيش فطب دائرة المحققين ، أُسَدُ أهل المشرق والمغرب له كرامات
وحجورق توفي سنة (622 هـ) وقبره محل علمه إقليم شفشاون . ترحم له في جامع
كرامات الأولياء (2/ 167- 168) ، جامع لكرامات العبيد لملكوهم (ص 59- 60)

(4) ما بين معقوفتين سقط من أ . الريادة من ب

(5) ما بين معقوفتين سقط من أ . الريادة من ب

وقوله : وحيض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، الأصل أن يقول . وبحر الجبروت بفيض نوره متدفق يشير إلى ظهور القبضة المحمدية من بحر نوره اللطيف . وإما عبر بالحيض ليناسب الرياض . ونجد جمع نور القبضة لتفرعه إلى أنوار كثيرة . كما جمع العالمين . مع أن العالم واحد لتعدد أنواعه . والله تعالى أعلم .

فحقيقة الملك : ما يدرك بالحس والوهم .

وحقيقة الملكوت : ما يدرك بالعلم والذوق .

وحقيقة 22 الجبروت : ما يدرك بالكشف والوجدان . فالوجود واحد . وبما تختلف التسمية (1) باعتبار الرؤية ولترقية . فمن وقف مع حس الكائنات وحجب به عن المعنى . سمي في حقه ملكاً . ومن نفذ إلى شهود المعاني . سمي في حقه ملكوتاً . ومن نظر إلى أصل القبضة التي برزت منه سماء جبروتاً . فإن ضم العروج إلى الأصول (2) أو تلطفت الأواني حتى صدرت كلها معاد . وانطق بحر الأحذية على الكل . صار جميع جبروتاً . فكل مقام يحجب عما قبله . فالملكوت يحجب عن شهود الملك . والجبروت [يحجب] (3) عن الملكوت إلا بالتزُّل في حل السلوك والله تعالى أعلم .

النَّاسُوتُ وَاللَّاهُوتُ وَالرَّحْمُوتُ :

88- الناسوت : عبارة عن حس الأواني .

89- واللاهوت : عبارة عن أسرار المعاني . ومرجع الأول للملك . والثاني للملكوت .

90- والرحموت : عبارة عن سرِّيات اللطف والرحمة في جميع الأشياء .

جلالها وجمالها . من ظن انفكاك لطف الله عن قدره فذلك لقصور نظره التَّوَجُّدُ وَالتَّوَجُّدُ ، وَالتَّوَجُّدُ ، وَالتَّوَجُّدُ :

91- التَّوَجُّدُ : تكلف التَّوَجُّدِ واستعماله كاستعمال الرقص والسطح والقيم

(1) في ب السسنة (2) في أ : أصده .

(3) م بين المعقوفتين سقط من أ : إرياده من ب .

وعبر ذلك وهو غير مُسَلَّم ، إلا للفقراء المتجردين فلا بأس ، فتكف الوجد
 واستعماله كم يُطَبُّ الحال دواء للنفوس وهو مقام لضعفاء ، وقد تستعمله
 الأقوياء مُسَاعَفَةً أو حلاوة . قيل لأبي محمد جريري : ما حالك في السماع ؟
 فقال : « إذا حصر هناك مُحْتَسِمٌ أَمْسَكَتُ وَحْدِي ، وإذا حلوت أُرْسَدْتُ وَجْدِي
 فتَوَحَّدْتُ » (1) . وأما اجنيد فكان أولاً يتوحد ثم سكن فقبل له ي سيدي ما
 لك في السماع شيء ؟ فقال : ﴿ وترى الجبال تحسبها حامدة وهي تمر مر
 السحاب ﴾ (2) .

قلت . وقد حضرت سماعاً مع شيخنا لبوريدي (3) رحمه الله عنه . فكان
 يتمايل يمينا وشمالا ، وحدثني من حضر سماعاً مع شيخه مولاي لعربي
 الدرفاوي (4) فقال : ما رل قائماً يرفض حتى [كمل] (5) السماع ولا يُنْكِرُ
 السماع إلا جاحداً جاهل ضال عن أسرار الحقيقة .

92- وأما الوجد . فهو الذي يرد على القلب ويصدفه بلا تأمل ولا تكلف ،
 ماً شوق مُقَلِّقٌ أو خوف مُزْعِجٌ . وهو بعد التوجد ، ويقال : التوجد نمرة (6)
 المتارة في أسرار الحقائق ، كما أن حلاوة الطاعات ثمرات مُنْزَلَةٌ في الطاعة

(1) نظر قور احريري في رسالة لقشيرية (ص 62)

(2) سورة نملية (88)

(3) هو محمد بن أحمد لبوريدي العماري حسني كان صوفيا من أكبر تلامذة لشيوخ لعربي
 بدرقوي . له تأليف في علم للتصوف وصوبق لقوم على طريقة لإملاء . لأنه كان أمياً لا
 يحسن الكتابة ، توفي سنة (1229 هـ) . ترجم له في إتحاف مطالع (1 / 112) ،
 دليل مؤرخ المغرب لأفصى (2 / 408 - 409) رقم (1859)

(4) هو أبو حمد العربي بن أحمد بن الحسن الدرفاوي حسني متوفى سنة
 (1239 هـ ، 823 م) له روى في حل من المغرب دفن بـ تـ رويح من قبته في رروان
 ترجم له في تحف المطبع (، 133) ، دليل مؤرخ المغرب لأفصى (1 - 224) رقم
 (883)

(5) ما بين معقه وبين سق من ، زيادة من

(6) في تـ ثمرات

الظاهرة . فكذلك أشتد التحقق بأسرار الحقائق والتوحيد قوي الوُجْدُ . كما أنه كلما اشتد الدَّوْمُ على الطَّاعَةِ (1) قويت حلاوتُها .

93- وأما الوُجْدَانُ : فهو دوْمُ حلاوة الشهود وتصالها مع غلبة الشُّكْرِ والدَّهْشِ . فإن استمرَّ مع ذلك حتى زالت الدهشة والحيرة ، وصفت الفكرة والنظرة فهو الوجود وإليه يشير قول الجنيد رحمه الله 23 / .

وَجُودِي أَنْ أَغِيبَ عَنِ الْوُجُودِ بِمَا يَبْدُو عَلَيَّ مِنَ الشُّهُودِ (2)

وقال أبو علي الدقاق رحمه الله :

التَّوَجُّدُ « يُوجِبُ اسْتِعَابَ الْعَبْدِ ، وَالْوُجْدُ يُوجِبُ .

94- استغراق العبد . والوجود : يوجب استهلاك العبد . فهو كمن شهد البحر

ثم ركب ثم غرق » (3) . 1 هـ

قال القشيري : « وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم

خمود » (4) . هـ .

فالقصد للمتواجدين القاصدين ، الوُجْدُ والورْدُ للوجدان الشاربين الخمرة ، والشهود لأهل الوُجْدَانِ السَّكَارَى . والوجود والخمود لأهل الصَّحْوِ والله تعالى أعلم .

95 - 96 - 97 - 98- الذَّوْقُ ، وَالشُّرْبُ وَالسُّكْرُ ، وَالصَّحْوُ . الذَّوْقُ . يكون

بعد العلم بالحقيقة . وهو عبارة عن بروق أنوار الذات القديمة على العقل . فيسبب عن رؤية الحدوث في أنوار القدم . لكنه لا يدوم ذلك . بل يلعب تارة ويحفي أخرى فصاحبه يدخل ويخرج ، فإذا لمع غاب عن حِسِّهِ . وإذا خفي رجع

(1) هي أ الطاعت

(2) انظر البيت في الرسالة القشيرية (ص 63) .

(3) لرسالة القشيرية (ص 63)

(4) مورد عبد القشيري في رسالته (ص 63) « وترتيب هذا الأمر قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود ومقدار الوجود يحصل الخمود »

إلى حسه ورؤية نفسه . فهذا يُسمى عندهم ذوقاً ، فإن دام له ذلك البور ساعه أو ساعتين فهو الشُّربُ . وإن متصل ودام فهو السكر . ومرحعه إلى فناء الرُّسوم في شهود الحي القيوم والغيبة عن الأثر في شهود المؤثر ، ويسمى أيضاً الفناء . فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله وأنه نور من أنوار الله ، فهو الصحو . ويسمى أيضاً بالرِّي وبالبقاء لإبقاء لأشباه بالله بعد فنائها ، ويسمى أيضاً فناء لفناء الفناء لأنه علم أنه لم يكن ثم شيء يفنيه غير الوهم والجهل وهما لا حقيقة لهما .

قال القشيري : « واعلم أن الصحو على قدر السكر . فكل من كان سُكره حق ، كان صحوه بحق ، ومن كان سُكره بحظ مشوباً كان صحوه بحظ مصحوباً ، ومن كان مُحققاً في حاله كان محفوفاً في سُكره » (1) .

ثم قال : فمن قوى حبه ترمد شربه والله درُّ القائل :

شربتُ الحُبَّ كأساً بعد كأسٍ فما نقد الشرابُ ولا رويتُ
المَحْوُ والإثباتُ :

99- المَحْوُ : الغيبة عن الكائنات فناء .

100- والإثبات : إثباتها بقاء .

ويطلق على محو الأوصاف الذميمة وإثبات الأوصاف الحميدة ، وهي ثلاث مراتب (2) : محو الزلة عن الظواهر ، ومحو الغفلة عن الضمائر ، ومحو العلة عن السرائر .

ففي محو الزلة إثبات النبوة (3) ، وفي محو الغفلة إثبات اليقظة (4) . وفي محو العلة إثبات الصف (5) .

(1) صر الرسالة القشيرية (ص 72)

(2) سقط من ب

(3) في الرسالة القشيرية : المعاملات

(4) في الرسالة : المدرلات .

(5) في رسالة أبو صلات : نظر . (73)

101 - 10 : السَّتْرُ والتَّجَلِّي : السَّتْرُ عندهم عبارة عن غيبة العبد عن ربه

ترويحاً وتنزلاً أو شغلاً بشأن من شؤون النفس ، والتجلي عبارة عن كشف العبد بعظمة ربه وهذا قبل الرُّسُوح . وأما بعد الرُّسُوح فلا غيبة له .

فالعَوَامُّ في غطاء السَّتْرِ على الدوام ، والخواص بين كشف وغطاء ، وخواص الخواص في دوام 24 التجلي ، فالستر للعوام عقوبة ، وللخواص رحمة ، إذ لولا أنهم (1) يستر عنهم في بعض الأحيان لتلاشوا عند سلطان الحقيقة ، ولكنه كما يظهر لهم يستر عنهم . « والخواص بين عيش وطيش إذا تحلى لهم طشوا ، وإذا ستر عنهم ردوا إليهم فعاشوا » (2)

المُحَاضِرَةُ وَالْمُكَاشِفَةُ وَالْمُسَامَرَةُ (3) :

103 - المُحَاضِرَةُ : حضور القلب مع الرب ويكون من وراء حجاب ، إما بتواثر

البرهان ، أو بفكرة الاعتبار ، أو باستيلاء سلطان الذِّكْرِ على القلب ، ثم بعده .

104 - المُكَاشِفَةُ : وهو حضور القلب مع الرب بنعت البيان غير مفتقر في هذه

الحالة إلى تأمل الدليل ، وتطلب السبيل . ويكون أيضاً مع الحجاب بنعت القُرْبِ في مقام المراقبة وهو للعباد والزهاد ونهاية الأسرار ، وأما مكاشفة ضمائر الناس فليست بمقصودة عندهم قد يعطاها من لم يبلغ لهذا المقام وبعد المحاضرة والمكاشفة :

105 - المُسَامَرَةُ : وهي ظهور أسرار الذات ، فيغيب العبد عن وجوده ،

ويعرف في بحر الأحدية ساعة [أو ساعتين ثم يرجع إلى شاهده وحسّه كمن يسمر في عومه تحت الماء ساعة أو أكثر ثم يخرج وهي من بداية الوجودان ولمعان أنوار المشاهدة (4)] ثم بعدها المشاهدة وهي دوام شهود الحق بلا تعب

(1) في أ أنه التصويب من ب

(2) الرسالة (ص 75)

(3) في الرسالة والمشاهدة : (ص 75)

(4) ما بين المعقوفتين سقط من . المطبوع .

ووجود الحق بلا تهمة . وقال الحنيد رحمته الله : « المشاهدة وجود الحق مع فقدانته » (1) . هـ . وقد تقدم تفسيرها ، وإنما أعيدت هنا لترتيبها على ما قبلها قال : القشيري . « فصاحب المحاصرة مربوط بآياته ، وصاحب المكشفت مبسوط بصفته ، وصاحب المشاهدة ملقى بذته » (2) .

قلت : وصاحب المسامرة تارة بتارة . ثم قال القشيري : « صاحب المحاصرة يهديه عقده ، وصاحب المكشفة يذنيه علمه ، وصاحب المشاهدة (3) ، تمحوه معرفته » (4) . وأجمع ما قيل في المشاهدة : أنه تولي أنوار التجلي على القلب من غير أن يتخلله ستر ونقطاع . كما لو قدر تصل البروق في الليلة الظلماء ، بأنها تصير في ضوء النهر ، وكذلك القلب إذا دام له دوام التجلي فلا ليل ، وأنشدوا :

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار
الناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار (5)

والسدف (6) بالسين : لظلمة كما في القاموس .

وقال النوري (7) : « إذ طلع الصباح ستغني عن الصباح » (8) . هـ . وقول لشاعر ليلي بوجهك . . إلح . أي ليل وجودي مشرق بوجود دتت ، فقد ذهبت ظلمة وجودي في نهار وجودك .

106 107 108 - اللوائح واللوامع والطوالع : وهي ألفاظ متقاربة : وهي لأهل البدايات حين تبرق 25 ، عليهم أنوار الشهود ثم تستر فتكون أولاً لوائح ، ثم لوامع ، ثم طوالع .

(1, 2, 3) لرسالة (ص 75)

(4) قال النوري « لا يصح بعد المشاهدة ما دام حيا » لرسالة (ص 76)

(5) الرسالة . (ص : 76) .

(6) القاموس المحيط مادة « سدف » (ص 737) دار الفكر لبنان (1995)

(7) في نوادر . والصواب ما أثبتته من . ب . والرسالة والمطوح واسمه حمه لبوني سنة (295 هـ 908 م) ترجم له في لرسالة (ص 438 - 439) . طبع في

صوفية (ص 135 - 139)

(8) لرساله . (ص 76)

فَاللَّوَامِعُ أَظْهَرَ مِنَ اللُّوَائِحِ . وَالطَّوَالِعُ أَظْهَرُ مِنَ اللُّوَامِعِ ، فَقَدْ تَبَقَّى اللَّوَامِعُ
سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، بِخِلَافِ اللُّوَائِحِ فَيُنْهَى أَخْفُ لِرَوَالِهَا بِسُرْعَةٍ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ
افْتَرَقْنَا حَوْلًا فَلَمَّا اجْتَمَعْنَا (1) كَانَ تَسْلِيمُهُ عَلَيَّ وَدَاعًا (2)

وقال آخر :

يَا ذَا السَّيِّ زَارَ وَمَا زَارًا كَأَنَّهُ مُقْتَبِسٌ نَارًا
مَرَّ بِيَابِ الدَّارِ مُسْتَعْجِلًا مَا ضَرَّهُ لَوْ دَخَلَ الدَّارُ (3)

وَأَمَّا الطَّوَالِعُ : فَيُنْهَى أَبْقَى وَقْتًا ، وَأَقْوَى سُلْطَانًا ، وَأَدْبَرَ لِنِظْمَةِ وَأَنْفَى
لِنَهْمَةٍ لَكُنْهَا عَلَى خَطَرِ الْأَقْوَالِ ، لَمْ يَتِمَّكَنْ صَاحِبُهَا مِنْ طُلُوعِ شَمْسٍ عَرَفَانِهِ ،
فَأَوْقَتْ حَصُولَهَا وَشَيْكَةَ الْإِرْتِيحَانِ . وَأَحْوَالُ أَقْوَالِهَا طَوِيلَةُ الْأَدِيلِ (4) لَكِنْ إِذَا
عَرُبَتْ أَوَارُهَا بَقِيَتْ ثَارُهَا . فَصَحْبُهَا إِذَا غَرِبَتْ أُنْوَارُهَا يَعِيشُ فِي بَرَكَاتِ شَارِهَا
إِلَى أَنْ تَعُودَ ثَانِيًا ، هَكَذَا حَتَّى تَطْلُعَ شَمْسُ نَهَارِهِ بِتَمَكُّنِهِ . فَلَا مَغِيبَ لَهَا حِينَئِذٍ
كَمَا قَالَ لِقَائِلٍ :

طَلَعَتْ شَمْسٌ مِنْ أَحَبِّ بَلِيلٍ وَاسْتَنَارَتْ فَمَا تَلَاهَا غُرُوبٌ
إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِاللَّيْلِ وَشَمْسُ الْقُلُوبِ لَيْسَ (5) لَهَا مَغِيبٌ
109 - 110 - الْبَوَادُ وَالهَّجُومُ : الْبَوَادُ : « مَا يَفْحُ الْقَلْبُ مِنْ حَيَةِ الْغَيْبِ
عَنِ سَبِيلِ الْبَغْتَةِ ، إِمَّا مُوجِبٌ فَرَحٍ أَوْ تَرَحٍّ » (6) .
وَالهَّجُومُ . « مَا يَرُدُّ عَلَى الْقَلْبِ بِقُوَّةِ الْوَقْتِ مِنْ غَيْرِ تَصْنَعٍ وَلَا تَكْسِبٍ » (7) .

(1) فِي الرِّسَالَةِ . لَتَقْبِي

(2, 3, 4) الرِّسَالَةُ (ص 77)

(5) هِيَ ب - لَيْسَتْ تَعِبُ

(6) فِي الرِّسَالَةِ . « مَا يَفْحُ الْقَلْبُ مِنْ غَيْرِ سَبِيلِ الْوَهْلَةِ ، إِمَّا مُوجِبٌ فَرَحٍ »
بِمُوجِبِ تَرَحٍّ « (ص 78)

(7) فِي الرِّسَالَةِ مَثَلٌ .

ويختلف أحوالهم على حسب ضعفهم وقوتهم فمنهم من تغيره لبواده ، وتتصرف فيه الهواجم . ومنهم من يكون فوق ما يفجأه حالا وقوة لا تغيره الهواجم ، ولا تتصرف فيه البوادي ، ولا تزعجه الهموم ، ولا تحركه المخاوف . أولئك سادت الوقت كما قيل :

لا تهتدي نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الجليل الجأ^(١)

وهؤلاء هم أهل الرسوخ والتمكين جعلنا الله منهم امين .

111 - 112 - التَّلَوِينُ وَالتَّمَكِينُ : التَّلَوِينُ : هو الانتقال من حال إلى حال ، ومن مقام إلى مقام . وقد يسقط ويقوم ، فإذا وصل إلى صريح العرفان وتمكن من السهود ، فصاحب تمكين ، فصاحب التلويين أبداً في الزيادة ، وصاحب التمكن وصل وتمكن . فانتهاء سيرهم الطفر بنفوسهم ، فإن ظفرو بها ، فقد وصلوا فانخنست أوصاف البشرية واستولى عليها سلطان الحقيقة . فإن (2) دام ذلك للعب فهو صاحب تمكين ، وقد يكون التلويين بعد التمكن ، ومعناه : النزول في المقامات كنزول الشمس في برجها (3) ، فيتلون العارف مع المقادير ، ويدور معها حيث دارت ، ويتلون بتلوي الوقت ، فيكون بين قبض وبسط ، [وقوة] (4) وضعف ، ومنع وعطاء ، وسرور وحزن ، وغير ذلك من تقلبات الأحوال ، 26 ، غير أنه مالمالك غير مملوك ، لا ينغير بتغير الأحوال ، ولا يتأثر بالزلزال والأحوال ، والله تعالى أعلم .

113 - 114 - الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ

الْقُرْبُ (5) : كناية عن قرب العبد من ربه بطاعته وتوفيقه وهو على ثلاثة

مراتب .

(1) لرسالة (ص 78) .

(2) في ب : فإدا .

(3) في ب : بروحها .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من . أ الزيادة من : ب

(5) لفظة قرب وردت في قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [سورة ق آية

[16] ، وقوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة الواقعة آية 85] .

قُرْبُ بِالطَّاعَاتِ وَتَرْكُ الْمُخَالَفَاتِ ، وَقُرْبٌ بِالرِّيَاضَاتِ وَالْمُجَاهِدَاتِ ، وَقُرْبٌ
بِالْوُضُوءِ وَالْمَشَاهِدَاتِ (1) ، فَقُرْبُ الطَّالِبِينَ بِالطَّاعَاتِ (٢) ، وَقُرْبُ الْمُرِيدِينَ
بِالْمُجَاهِدَاتِ (1) وَقُرْبُ الْمُوَاصِلِينَ بِالْمَشَاهِدَاتِ (1) ، فَأُولُ الْبُعْدِ ، الْعُدُ عَنْ
التَّوْفِيقِ ، ثُمَّ الْبُعْدُ عَنْ سُلُوكِ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ الْبُعْدُ عَنْ التَّحْقِيقِ .

وفي الحديث القدسي عن الله عز وجل يقول : « مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَّقِرُونَ بِمَثَلِ
أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا
أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَبَصَرًا » (2) الحديث . وفي حديث آخر : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ
كُنْتُهُ » فَقُرْبُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ ، انْحِيَاشُهُ إِلَيْهِ بِقَلْبِهِ . وَقُرْبُ الْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ نَغْيِبُهُ عَنْ
وُجُودِهِ الْوَهْمِيِّ ، وَكَشْفُ الْحِجَابِ عَنْ عَيْنِ بَصِيرَتِهِ حَتَّى يَرَى الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ
كُلِّ شَيْءٍ ، ثُمَّ يَغِيبُ الْقُرْبُ فِي الْقُرْبِ ، فَيَتَّحِدُ الْقَرِيبُ وَالْمُقَرَّبُ ، وَالْمُحِبُّ
وَالْحَبِيبُ كَمَا قَالَ الْقَدْلُ (3) « أَنَا مِنْ أَهْوَى وَمِنْ أَهْوَى أَنَا » .

وكما قال الشَّشْتَرِي : « أَنَا الْمُحِبُّ وَالْحَبِيبُ مَا شِئْنَا » (4)

الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ وَالطَّرِيقَةُ :

115- الشَّرِيعَةُ : تَكْلِيفُ الظُّوَاهِرِ .

116- وَالْحَقِيقَةُ : شَهُودُ الْحَقِّ فِي تَجَلِّيَاتِ الْمَظَاهِرِ . فَلِشَّرِيعَةٍ أَنْ تَعْبُدَهُ وَالطَّرِيقَةَ
أَنْ تَقْصِدَهُ ، وَالْحَقِيقَةَ أَنْ تَشْهَدَهُ ، فَلَمَّا تَجَلَّى الْحَقُّ بَيْنَ الضَّادِينَ فَتَجَلَّى بِمَظَاهِرِ (5) ،
عَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوَالِبِ الْعِبَادِيَّةِ ، ظَهَرَتِ الشَّرِيعَةُ وَالْحَقِيقَةُ . فَشُهُودُ الْعَظَمَةِ مِنْ

(1) وَرَدَتْ فِي - بِصِغَةِ الْإِنْفِرَادِ (لَمَشْهَدَةٍ ، لَطْعَةٍ ، الْمُجَاهِدَةِ)

(2) أَخْرَجَهُ بَخْزَرِي فِي الصَّحِيحِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي كِتَابِ الرِّقَاقِ . رُبَّ التَّوَاصِعِ
حَدِيثَ (6502) (ص 1639) وَأَوَّلُ الْحَدِيثِ « إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ
بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ
إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ . » الْحَدِيثُ

(3) مَثَلُ هُوَ - دَوَّابُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَصْرِيُّ أَوْ لَمِصْرَ . سَبَقَ تَرْجُمَتُهُ .

(4) انْظُرْ كِتَابَ نُبُوَّةِ الشَّشْتَرِيِّ فِي تَحْقِيقِ سَامِي سَنَاءِ صَعْدَةِ سَنَةِ (1960)

(5) فِي - بِمَضْهَرِ

حيث هي حقيقة ، ولقيام بأداب القوالب عبادة وعبودية وشرعية وأما .

117 - الطريقة : فهي إصلاح الضمائر لنتهيًا لإشراق أنوار الحقائق عليها .

فالشرعية لإصلاح الظواهر . والطريقة لإصلاح الضمائر . والحقيقة لتزوين السرائر . ويُقال . الشرعية عين الحقيقة من حيث أنها وجبت بأمره . والحقيقة عين الشرعية من حيث أنها مكلف بها من قبل الشرعية ، وقد تطلق عندهم الشرعية على كل ما يتوصل به إلى شيء ، أو يكون سببًا في إدراكه . فالأسباب كلها شرائع . ولقصد كلها حقائق . فالحس شرعية المعنى إذ به قبضت ، والمجاهدة شرعية المشاهدة . والذل شرعية العز ، والفقر شرعية الغنى وهكذا . والحرث والغرس شرعية جني الثمار ، ولذلك يقولون : من غرس الشرح ، أثمرت له الحقائق . ومن غرس الحقائق ، أثمرت له الشرائع . أي أحوجته (1) إلى لرجوع للشرائع . وفي ذلك يقول الشاعر :

ثَمَارَ مَا قَدْ غَرَسْتَ تَجْنِي وَهَذِهِ عَادَةُ الزَّمَانِ

118 - 119 / 27 الذات والصفات : اعلم أن الحق جل جلاله ذات وصفات في الازل وفي الأبد أعني قبل التجلي وبعده ، إذ صفاته قديمة بقدم داته ، والصفة لا تفارق الموصوف ، فحيث تجلت الذات فالصفات لارمة لها كائنة فيها . وحيث ظهرت الصفات فالذات لارمة لها . فالذات ظاهرة والصفات باطنة . والمراد بالصفات صفات المعاني وسائر أوصاف الكمال ، فكل ما وقع به التجلي والظهور ، فهو بين ذات وصفات . الذات لا تفارق الصفات . والصفات لا تفارق الذات ، وهذا التلازم الذي بينهما في الوجود هو الذي قصد من قال . الذات عين الصفات أي مظهرهما واحد . كما قالوا : الحس عين المعنى حيث اتحد مظهرهما :

فَارْ بَعْضُ الْمَشَارَقَةِ فِي بَعْضِ أَزْجَالِهِ :

يَا وَارِدَ الْعَيْنِ إِنْ حَقَّقْتَ زَالَ الشَّكُّ الذَّاتُ عَيْنُ الصِّفَاتِ مَا فِي الْمَعَانِي شَكُّ

ولا يصدئك عن شهود الذات رداء احس لمنشور على وجه المعاني . فإن هذا

الأمر من (1) مدارك الأدواق والوجدان ، لا من طريق دليل العقل والبرهان والله
در ابن الفارض حيث يقول .

فثم وراء العقل علم يدق عن مدارك غاية العقول السليمة

واعلم أن الذات لا تتجلى إلا في مظاهر أثر الصفات إذ لو تجلت بلا واسطة
لا ضمحلت المكنونات وتلاشت ولذلك يقولون : تجلي الذات جلالي ، وتجلي
الصفات جمالي لأن تجلي الذات بلا واسطة يمحق ويحرق ، كما في الحديث
وتجلي الصفات يكون بالأثر ، فيكون معه الشهود والمعرفة فهو جمالي . ثم
توسعوا فأطلقوا على كل ما هو جلالي ذات ، وعلى كل ما هو جمالي صفات
على سبيل التشبيه ، فقالوا : الفقر ذات ، والغنى صفات ، الذل ذات ، والعز
صفات ، الصمت ذات ، والكلام صفات وهكذا (2) ، وهذا الاصطلاح ذكره
شيخ شوخنا سيدي علي الجمل (3) العمراني رحمه الله في كتابه ولا أدري هل سبق به
أم لا ؟ .

الأنوار والأسرار :

120 - الأنوار : عبارة عما ظهر من كثائف التجليات .

121 - والأسرار : عبارة عما بطن فيها من المعاني اللطيفة . فالأسرار أرق من
الأنوار . فالأسرار للذات ، والأنوار للصفات لأنّها أثرها ، فالذات بعد التحلي
بين أنوار ظاهرة وأسرار باطنة . وأما في حال الكثرة فما كان الأسرار فالجبروت
كله أسرار ، والملوك أنوار ، والملك أغيار وأكدار ، فالوجود واحد ، فمن نظر
إلى باطنه لم ير إلا الأسرار ، ومن نظر إلى ظاهره بعين الجمع لم ير إلا الأنوار ،
ومن نظر بعين الفرق لم ير إلا الأغيار . جمع غير بالسكون ، ومن شغله التوجه

(1، 2) سقطت من . ب

(3) هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن العمراني الملقب بالجمل وهو شيخ سيدي العربي
الدرقوي توفي سنة (1194 هـ) . ترجم له في الروضة المقصودة (2 / 469 - 470) ،
سلوة الأنفاس (1 / 358 - 360) طبقات الشاذلية الكبرى (ص 14) ، شجرة النور الزكية
(515 / 1) تعليقا

إلى الله بِشَغِيهِ وَأَهْوَالِهِ ، كان في حقه أَكْدَرُ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ تَجَلِّيَاتُ الْحَقِّ نُورًا على وجهه / 28 التشبيه ، لأن شأن النور أن يكشف الظلمة ويذهبها وكذلك تجلّي الحق ، يكشف عن ظلمة الجهل ويظهر العلم به ، ولذلك قالوا : « العلم نورٌ والجهل ظلمةٌ على وجه الاستعارة ». وأما السرُّ فهو الأمرُ الخفيُّ الذي لا يدركُ ، فلذلك قالوا في حق الخمرة ، الأزلية والمعاني القديمة : أسراراً ؛ وسموا أيضاً لأرواح بعد التصفية أسراراً . لأنها لما تصفّت رجعت لأصلها ، وهي قصعة من السرِّ الجبروتي القديم . فإذا استولت على الأشباح رجع الجميع قديماً ، والله تعالى أعلم . وأما الصمائرُ والسرائرُ فقبيل : معناهما واحد ، وقيل : السرائرُ أرق وأصفاً ، كما أن الروح أرق من القلب ؛ لأن الضمائر كل ما خفي في الباطن خيراً أو شراً ، والسرائرُ ما كمن فيه من لمحاسن ، والتحقيق أنهما شيء واحد ، عبارة عما كمن في الباطن من العقائد والنيات بدليل ، الآية ﴿ يَوْمَ تُلَى السَّرَائِرُ ﴾ (1) والله تعالى أعلم .

122 - النَّفْسُ بالتحريك (2) ، قال القشيري . « يعنون به ترويح القلوب بلطائف الغيوب ، فصاحب الأنفاس أرفع (3) من صاحب الأحوال ومن صاحب الوقت ، فكان صاحب الوقت مبتدياً ، وصاحب الأنفاس مستتهياً ، وصاحب الأحوال بينهما ، فالأوقات لأصحاب القلوب ، والأحوال لأرباب الأرواح ، والأنفاس لأهل السرائر » (4) . انتهى

قلت . النفسُ أدق من الوقت ، فحفظ الأوقات من التصنيع للعباد والزهاد ، وحفظُ الأنفاس للعارفين الواصلين ، واستعمال الأحوال للمريدين ، والمرد بحفظ الوقت : حضور القلب . ويحفظ النفس حضور السر (5) فيه في مشاهدة الحق ، يُقال : [فلان طابت أوقاته إذا وجد حلاوة معاملته بحضور قلبه] (6) ، وفلان

(1) سورة الطارق آية (9) .

(2) في ب . بالفتح .

(3) في الرسالة أرق (ص : 83) .

(5) في ب : السر في

(4) الرسالة القشيرية (ص : 83) .

(6) ما بين المعقوفتين سقط من ب

طابتْ أُنْفُسُهُ . إذا صَفَا مَشْرَبُهُ مِنْ عَيْنِ التَّوْحِيدِ مِنْ كَدَرَاتِ الْأَغْيَادِ فَقَوْلُهُ فِي حَدِّ النَّفْسِ تَرْوِيحُ الْقُلُوبِ . أي خُرُوجُهَا مِنْ تَعَبِ الْعِيسَةِ ، وَدَوَامِ الْمُرَاقَبَةِ إِلَى رَاحَةِ الْمَشَاهِدَةِ بِمَا يَبْدُو لَهَا مِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ التَّوْحِيدِ وَفَضَاءِ الشُّهُودِ . ثُمَّ قَالَ : الْقُشَيْرِيُّ وَقَالُوا . « أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ حِفْظُ الْأَنْفَاسِ » (1) ، أي دَوَامُ الْفِكْرَةِ وَالنَّظَرَةِ كَمَا قَالَهُ الشَّاعِرُ .

مِنْ أَحْسَنِ الْمَذَاهِبِ سَكْرٌ عَلَى الدَّوَامِ وَأَكْمَلُ الرِّغَائِبِ وَصَلٌ بِلا انْصِرَامٍ
قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الدِّقَاقُ . « الْعَارِفُ لَا يَسْلُمُ لَهُ لِنَفْسٍ . أَي تَضْيِيعُهُ إِذَا لَا مَسَامَحَةَ تَجْرِي مَعَهُ ، وَالْمَحِبُّ لَا يَدُّ لَهُ مِنَ النَّفْسِ ، إِذْ لَوْ لَا ذَلِكَ لَتَلَاشَى » (2) .
لِعَدَمِ طَاقَتِهِ . ا هـ

فَالْعَارِفُ لَمَّا اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهُ . سَهَّلَ عَلَيْهِ حِفْظُ أَنْفَاسِهِ لِسُهُوَةِ حُضُورِهِ وَتَمَكُّنِ شُهُودِهِ . بِخِلَافِ الْمُحِبِّ فَلِضَيِّقِ حَالِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دَوَامَ حُضُورِهِ فِي خِدْمَتِهِ ، وَعَلَى تَقْدِيرِ سَهُولَتِهَا عَلَيْهِ لِفَنَائِهِ فِيهَا ، قَدْ تَخَلَّتْ بَشْرِيَّتُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . « رَوِّحُوا قُلُوبَكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْمُبَاحِ » (3) أَوْ كَمَا قَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ 29/ لِحَنْظَلَةِ وَالصَّدِيقِ . « لَوْ تَدْرُومُونَ كَمَا تَكُونُونَ عِنْدِي لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ ، وَلَكِنْ سَاعَةً بِسَاعَةٍ » (4)

123 - 124 - الْفِكْرَةُ وَالنَّظَرَةُ :

الْفِكْرَةُ : جَوْلَانُ الْقَلْبِ فِي تَجَلِّيَّاتِ الرَّبِّ . وَقَالَ فِي الْحَكَمِ : « هِيَ سِيرُ الْقَلْبِ فِي مَيَادِينِ الْأَعْيَارِ » (5) . وَهَذِهِ فِكْرَةُ الطَّالِبِينَ . وَفِكْرَةُ السَّائِرِينَ سَيْرُ الْقَلْبِ فِي مَيَادِينِ

- (1) فِي الرِّسَالَةِ . « أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ عَدُّ الْأَنْفَاسِ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى » (ص 83) .
- (2) الرِّسَالَةُ (ص 83) . وَهَنَا يَنْتَهِي كَلَامُ . « أَبُو عَلِيٍّ الدِّقَاقُ » .
- (3) الْوَارِدُ فِي هَذَا حَدِيثِ « رَوِّحُوا قُلُوبَكُمْ سَاعَةً وَسَاعَةً » . انْظُرْ تَحَارِيْجَهُ فِي الْمَقَاصِدِ احْسَنَةً لِلْسَّحْدِيِّ (ص 275) رَقْم (530) .
- (4) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ مِنْ رِوَايَةِ حَنْظَلَةِ الْأَسَدِيِّ كِتَابُ لُبُّوَةٍ . بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَافْكَرْ فِي أَسْمَاءِ الْأَخْرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَحَوَارِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِعَالِ بِالنَّدَى حَدِيثُ (2750) (ص 1427) .
- (5) احْكُمِ الْعَطَائِيَّةَ (ص 150) رَقْم (262)

الأنوار . وفكرة الواصلين سِيرُ الرُّوح في مبادير الأسرار . وترجع إلى فِكْرَتَيْن فكر تصديق وإيمان وهي لأهل الاعتبار من عامه أهل اليمين . وفكرة شهود وعيد وهي لأهل الاستنصار من حجب المريدِينَ ، وخاصة العارفين الْمُتَمَكِّنِينَ وهي سراج القلب . فإذا دَهَبَتْ فلا إِصَاءَةَ لَهُ . وهي سبب الفناء الأكبر ، وبها يَتَحَقَّقُ السَّيْرُ وَيَحْضُرُ لَوْصُولُ ، فَمَنْ لَا فِكْرَةَ لَهُ . لَا سَيْرَ لَهُ ، وَمَنْ لَا سَيْرَ لَهُ لَا وُصُولَ لَهُ ، وكان شيخنا لبوريدي⁽¹⁾ يقول « الفقير لا فكرة . كالحياط لا إبرة » ا . ه .

وأما النظرة فهي أرقُّ من الفكرة وأرفع . لأنها مبدأ الشهود بالجلولان في الأكوان ، وهدمها وتلطيفها فكرة . والنظر في نفسه [أو غيره من التجليات]⁽²⁾ وغيبته عنها بشهود الحق نظرة ، فإذا تَمَكَّنَ من الشهود وَدَامَ فِيهِ سَمِّيَ الْعُكُوفُ فِي الْحَضَرَةِ ؛ وَلِذَلِكَ يُقَالُ . « أول المقامات ذكر . ثم فكرة . ثم نظرة . ثم عكوف في الحضرة » . والله تعالى أعلم .

125- الشَّاهِدُ : قال القشيري : « قد يجري في كلامهم فلان بِشَاهِدِ الْعِشْمِ ، وفلان بِشَاهِدِ الْوُجْدِ ، وفلان بِشَاهِدِ الْحَالِ ، ويريدون بلفظ الشاهد . ما يكون حاصر قلب الإنسان . وما هو غالب ذكره ، كأنه يراه وَيُبْصِرُهُ ، وَإِنْ كَانَ غَائِبًا عَنْهُ . وَكُلُّ مَا يَسْتَوْلِي عَلَى [قلب]⁽³⁾ الْإِنْسَانِ ذَكَرَهُ فَهُوَ شَاهِدٌ ، فَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ [ذكر]⁽⁴⁾ الْعِلْمُ فَهُوَ بِشَاهِدِ الْعِلْمِ . وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْوُجْدُ فَهُوَ

(1) هو محمد بن أحمد البوزيدي الغماري احسني كان صوفيًا مطلعًا حَيَّرَ دينا من أكبر تلامذة الشيخ العربي الدرقاوي توفي سنة (1229 هـ) ترحم له في إتحاف المصلع (112/1) .

قال ابن عحية في فهرسته « فلما قبضت الورود من شيخنا البوزيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَبَسْتُ حَلَاةً غَلِيظَةً مِنْ جَلَالِيبِ أَبِي بَدَف ، كَانَتْ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا . فَلَمَّا رَأَى الشَّيْخُ بِهَا فَرَحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَتَحَقَّقَ أَنَّهُ سَيَفْتَحُ عَلَى فِى أَسْرَارِ الْحَقَائِقِ » الفهرسة (ص. 53)

(2) ما بين المعقوفتين سقط من أ .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(4) ما بين المعقوفتين سقط من : أ ، والزيادة من : ب .

بشاهد الوجد (1) . ومعنى الشاهد الحاضر ، فكل ما هو حاضر قلبت فهو شاهدك . ١ . هـ .

126 127 128 - الخمرة والكأس والشراب :

- أما الخمرة : فقد يطلقونها على الذات العلية قبل التجلي ، وعلى أسرارها (2) القائمة بالأشياء بعد التجلي فيقولون : الخمرة الأرية تحلت بكذ ، ومن نعتها كذا ، وقامت بها الأشياء ، تسترأ على سر الربوبية ، وعليها غنى ابن العارض في خمريته . وإنما سموها خمرة : لأنها إذا تجلت للقلوب غابت عن حسيها كما تغيب بالخمرة الحسية . وقد يطلقونها على نفس السكر والوجد والوجدان . يقولون . كنا في خمرة عظيمة ، أي في غيبة عن الإحساس كبيرة ، وعلى هذا غنى الششتري حيث قال . خمرها دون خمري . خمرتي أزية (3) . أي سكر خمرة الدوالي دون خمرتي . وأما الكأس الذي تشرب منه هذه الخمرة فهو كدية عن سطوع أنوار التحلي على القلوب عند هيحان المحبة فتدخل عليها حلاوة الوجد حتى تغييت . وذلك عند سماع أو ذكر / 30 / أو مذاكرة .

وقيل : الكأس هو قلب الشيخ . فقلوبُ الشيوخ العارفين كيسان لهذه الخمرة . يسقونها لمن صحتهم وأحبهم . والشرب حضور القلب . أو استعمال الفكرة والنظرة حتى تغيب عن وجودك في وجوده . وهو السكر . فالشرب والسكر متصلان في زمن واحد في هذه الخمرة بخلاف خمرة الدنيا .

وقال (4) القطب ابن مشيش : المحبة آخذة من الله قلب من أحب بما يكشف له من نور (5) جماله وقُدس كمال جلاله ، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق ، والأنوار بالأنوار ، والأسماء بالأسماء ، والنعموت بالنعموت ، والأفعال بالأفعال . ويتسع النظر لمن شاء الله عز وجل . والشراب (6) يسقي القلوب والأوصال والعروق من هذا الشراب ، ويكون الشرب .

(2) في ب . الأسرار

(4) فراع في . ب

(6) في . ب . والشرب

(1) الرسالة القشيرية (ص: 86) .

(3) في ب . أزيًا .

(5) في أ : أنور . أثبتا ما في : ت

بالتدريب بعد التدريب والتهذيب ، فيسقى كل على قدره ، فمنهم من يُسقى بغير واسطة والله تعالى يتولى ذلك منه .

قلت : وهذا نادرٌ . ومنهم من يُسقى من جهة الوسائط ، كالملائكة ولعمراء والأكابر من المقربين . ثم قال . « وَالْكَأْسُ مَغْرَفَةُ الْحَقِّ يَغْرِفُ بِهَا مِنْ ذَلِكَ الشَّرَابِ الطَّهْوَرُ الْمُخَضَّرُ الصَّافِي لِمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ الْمَخْصُوصِينَ . . . » إلخ كلامه وقد فَسَّرْنَاهُ فِي شرح الحمزية (1) .

- الْمُرِيدُ وَالْفَقِيرُ وَالْمَلَامَتِي وَالْمُقَرَّبُ :

129- أما المریدُ فهو الذي تَعَلَّقَتْ إِرَادَتُهُ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ ، ودخل تحت تربية المسيح وقد تقدّم .

130- وأما الفقيرُ : فهو الذي افتقر ممّا سوى الله ، ورفض كل ما يشغله عن الله ، ولذلك قالوا : الفقيرُ لَا يَمْلِكُ وَلَا يَمْلِكُ . أي (2) لَا يَمْلِكُ شَيْئًا ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ . فهو أنهض من المرید وأخص . لأنَّ المرید قد يَكُونُ من أهل الأسباب ، وقيل : الفقيرُ هو الذي لَا تَقْلُهُ الْأَرْضُ وَلَا تَظْلُهُ السَّمَاءُ . أي لَا يحصره الكون لرفع همّته ونفوذ (3) بصيرته . وقال بعضهم : شروط الفقير أربعة : رَفْعُ الْهَمَّةِ ، وَحَسَنُ الْحِدْمَةِ ، وَتَعْظِيمُ الْحَرَمَةِ . وَنُفُوذُ الْعَزِيمَةِ (4)

131- وأما الملامتي فقلوا : هو الذي لَا يُظْهَرُ خَيْرًا وَلَا يُضْمَرُ شَرًّا . أي هو الذي يُخْفِي وَلَا يَتَّه ، ويظهر من الأحوال ما يُنْفِرُ [الناس عنه] (5) .

132- وَالْمُقَرَّبُ : هو المحقق بالفناء والبقاء .

قال بعضهم : الفقر ، واللامّة ، والتقريب ، أنواع من التصوف ومراتب

(1) شرح حمزية لابن الفارض كتاب مطبوع ضمن آخر مجموع لابن عجيبة جمعه الأستاذ العمري الخالدي عبد السلام يتبدأ من (ص. 106) إلى (150) .

(2) سقط من ب . (3) في ب : نفذ

(4) ب . العزيمة .

(5) ما بين المعقوفين في ب منه الناس .

فيه . فَإِنَّ الصُّوفِيَّ هُوَ الْعَامِلُ فِي تَصْفِيَةِ وَقْتِهِ مِمَّا سِوَى اللَّهِ ، فَإِذَا سَقَطَ مَا سِوَى الْحَقِّ (1) مِنْ يَدِهِ فَهُوَ الْفَقِيرُ ، وَإِنْ كَانَ لَا يَبَالِي بِالنَّاسِ ، وَلَا يُظْهِرُ خَيْرًا ، وَلَا يُصْمِرُ شَرًّا ، فَهُوَ الْمَلَامَتِي .

وَالْمُقَرَّبُ مَنْ كَمَلَتْ أَحْوَالُهُ ، فَكَانَ رِبَّةً لِرَبِّهِ ، وَلَيْسَ لَهُ عَنْ سِوَى الْحَقِّ خَبَرٌ ، وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ . ا . هـ .

133 - 134 - 135 - الْعِبَادُ وَالزُّهَادُ وَالْعَارِفُونَ هَذِهِ أَلْعَازُ مَعَانِيهَا مُتَقَرِّبَةٌ ، يَجْمَعُهَا مَسْعَى التَّصَوُّفِ فِي الْجُمْلَةِ الَّذِي : هُوَ التَّوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، إِلَّا مَنْ غَنِبَ عَلَيْهِ ، 31 ، الْعَمَلُ كَانَ عَابِدًا ، وَمَنْ غَنِبَ عَلَيْهِ التَّرَكُّ كَانَ رَاهِدًا ، وَمَنْ وَصَلَ إِلَى شُهُودِ الْحَقِّ وَرَسَخَ فِيهِ (2) كَانَ عَارِفًا .

فَالْعِبَادُ وَالزُّهَادُ شَغَلَهُمْ بِخِدْمَتِهِ إِذْ لَمْ يَصْنَحُوا لَصَرِيحٍ مَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَارِفُونَ شَغَلَهُمْ بِمَحَبَّتِهِ (3) .

﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عِطَاءُ رَبِّكَ مُحْظُورًا ﴾ (4) .

الصَّالِحُونَ . وَالْأَوْلِيَاءُ وَالْبَدَلَاءُ ، وَالنُّبَّاءُ وَالنُّجَبَاءُ ، وَالْأَوْتَادُ ، وَالْأَقْطَابُ (5) .

136 - أَمَّا الصَّالِحُونَ : فَهُمْ مَنْ صَلَحَتْ أَعْمَالُهُمْ الظَّاهِرَةُ ، وَاسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهُمُ الْبَاطِنَةُ .

137 - وَأَمَّا الْأَوْلِيَاءُ : فَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ عَلَى نَعْتِ الْعِيَانِ [مِنَ الْوَلِيِّ وَهُوَ الْقَرَبُ] (6) وَقِيلَ : مَنْ تَوَالَتْ طَاعَتُهُمْ ، وَتَحَقَّقَ قُرْبُهُمْ وَاتَّصَلَ مَدَدُهُمْ .

138 - وَأَمَّا الْبَدَلَاءُ : فَهُمْ الَّذِينَ اسْتَبَدَلُوا الْمَسَاوِيَّ بِالْمَحَاسِنِ وَاسْتَبَدَلُوا (7) صِفَاتِهِمْ بِصِفَاتِ مَحْبُوبِهِمْ .

(1) فِي ب . اللَّهُ .

(2) سَقَطَ مِنْ ب .

(3) فِي أ . بِمَعْرِفَتِهِ . بِالتَّصَوُّبِ مِنْ : ب .

(4) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، آيَةُ (20)

(5) فِي أ : الْقُطْبُ . بِالتَّصَوُّبِ مِنْ ب .

(6) مَا بَيْنَ الْمَعْقُوفَتَيْنِ فِي ب . يَعْنِي الْوَلِيَّ وَهُوَ الْمُقَرَّبُ .

(7) سَقَطَ مِنْ ب .

- 139- وأما النقباء : فهم الذين نقبوا الكون وخرجوا إلى فضاء شهود المَكُونِ
- 140- وأما النجباء : فهم السابقون إلى الله لنجابتهم وهم أهل الجدِّ والقريحة من المريدين
- 141- وأما الأوتاد : فهم الراسخون في معرفة الله وهم أربعة . كأنهم أوتاد لأركان الكون الأربعة .

142- وأما القطب : فهو القائم بحق الكون . والمَكُونُ وهو واحد وقد يُطلق على من تحقَّق بمقام وعلى هذا يتعدَّد في الزمان الواحد أقطاب في الأحوال والمقامات والعلوم . يُقال : فلان قُطْبٌ في العلوم ، أو قطب في الأحوال . أو قطب في المقامات ، إذا غلب عليه شيء منها . فإذا أريد المقام الذي لا يتصف به إلا واحد ، عبَّر عنه بالغوث وهو الذي يصل منه المدد الروحاني إلى دوائر الأولياء من نجيب ونقيب ، وأوتاد وأبدال . [وتقدم أن الأفراد خارجون عن دائرته] (2) وله الإمامة والإرث والخلافة الباطنة ، وهو روح الكون الذي عليه مداره كما يشير إلى ذلك كونه بمنزلة إنسان العين من العين ، ولا يعرف ذلك إلا مَنْ لَهُ قِسْطٌ ونصيب من سرِّ البقاء بالله .

وأما تسميته بالغوث ، فَمِنْ حَيْثُ إِغَاثَتُهُ الْعَوَالِمَ بِمَادَّتِهِ وَرُتَّبَتِهِ الْخَاصَّةِ ، وله علامة يُعْرَفُ بها .

قال القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي (3) : للقطب خمس عشرة علامات فَمَنْ ادَّعَاهَا ، أو شيئاً منها ، فليبرر بِمَدَدِ الرَّحْمَةِ وَالْعِصْمَةِ وَالْخَلَاةِ وَالنِّيَابَةِ ، ومدد حَمَلَةِ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . ويكشف له عن حقيقة الذَّاتِ ، وإحاطة

(1) سقط من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب

(3) هو علي بن عبد الله بن عبد اجبار أبو حسن الشاذلي ولد بعمرة بالمغرب عام (593 هـ) شيخ الطريقة الشاذلية وشاذلة قرية تنوس توفي رحمه الله سنة (656 هـ) .
ترحم له في طبقات الشاذلية الكبرى لمحيي الدين الطُّعْمِي (ص 173 ، 174) .
وحامع الكرامات العلية لأبي علي الحسن الكوهن (ص 19 ، 59) .

لصفات . ويكرم بالحكم . والفصل بين الوجودين ، والفصل الأول عن الأول وما انفصل عنه إلى منتهاه . وما ثبت فيه . وحكم ما قبل . وحكم ما بعد . وما لا قبل ولا بعد . وعلم البدء وهو : [العلم]⁽¹⁾ المحيط بكل علم وبكل معلوم وما يعود إليه . ا . هـ .

فَالْعَلَامَةُ الْأُولَى : أن يكون متخلقا بأخلاق الرحمة على قدم موروثة ﷺ
32. [صاحب حلم]⁽²⁾ ورأفة وشفقة وعفو وعقل ورزانة وجود وشجاعة كما كان موروثة ﷺ .

والعلامة الثانية : أن يمدد بمدد العصمة وهي الحفظ الإلهي . والعصمة الربانية كما كان موروثة ﷺ غير أنها في الأنبياء واجبة . وفي الأولياء جائزة . ويقل . لها الحفظ فلا يتجاوز حداً ولا ينقض عهداً

والثالثة : الخلافة ، وهو أن يكون خليفة الله في أرضه أمين على عباده بالخلافة النبوية . قد بايعته الأرواح ونقادت إليه الأشباح

والرابعة : النيابة ، وهو أن يكون نائب عن الحق ، في تصريف لأحكام حسبما اقتضته الحكمة الإلهية وفي الحقيقة ما ثم لا القدرة للأزلية .

والخامسة : أن يمدد بمدد حملة العرش من القوة والقرب ، فهو حامل عرش لأكوان ، كما أن الملائكة حاملة عرش الرحمن .

والسادسة : أن يكشف له عن حقيقة الذات ، فيكون عارفاً بالله معرفة العين وأما الجاهل بالله فلا نصيب له في القطبانية .

والسابعة : أن يكشف له عن إحاطة الصفات بالكائنات فلا يكون إلا وهو قائم بالصفات وأسرار الذات . ومعرفة القطب بإحاطة الصفات ، أتم من غيره لأنها في حقه ذوقية لا علمية .

والثامنة : أن يكرم بالحكم والفصل بين الوجودين أي بين الوجود الأول قبل التجلي وهو المعبر عنه بالأزل وبالكنز القديم ، وبين الثاني الذي وقع به التجلي

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . ، الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

والفصل بينهما أن يُعْلَمَ أن الأول ربوبية بلا عبودية ، ومعنى بلا حس ، وقدرة بلا حكمة بخلاف الثاني فإنه متصف بالضعفين ، ربوبية وعبودية ، معنى وحس ، قدرة وحكمة ؛ ليتحقق فيه اسمه الظاهر واسمه الباطن فالضد محتصان بالقبضة التحلي بها ؛ وأما العظمة المحيطة بها الباقية على كثرتها فهي باقية على أصلها عافهم

التاسعة والعاشر : أن يُكْرَمَ بالحُكْمِ بانفصال الأول عن الأور ، والمرد بانفصال الأول ، انفصال (١) نور القبضة عن النور الأزلي الكنزي وهو بحر الجبروت . والمراد بما انفصل عنه ما تفرع من القبضة إلى مساه من فروع التجليات ؛ أي في الحال وأما في المال فلا انتهاء له ؛ لأن تجليات الحق لا تنقطع أبداً . فإذا انقضى هذا الوجود الدنيوي ، تجلى بوجوده آخر أخرى . ولا نهاية له .

الحادية عشرة (٢) : أن يعلم ما ثبت في المنفصلات من المزييا أو الكرامات أو ضد ذلك . يعني في جملة وأما التفصيل فمن خصائص الربوبية الثانية عشرة : [أن يعلم] (٣) حُكْم ما قبل ، أي ما قبل التحلي وحُكْمُهُ هو التنزيه المطلق ؛ لأنه باق على كثرته لم تدخه الضدان .

الثالثة عشرة : أن يعلم حُكْم ما بعد وهو التكليف / 33 / في مظاهر التعريف فيأما برسم الحكمة وستراً لأسرار القدرة .

الرابعة عشرة : أن يعلم ما لا قبل ولا بعد . أي يُعْلَم ما لا قبل لها ولا بعد لها وهي الخمرة الأزلية والذات الأصلية كما قال ابن الفارض .

فلا قَبْلَها قَبْلٌ ولا بَعْدَها بَعْدٌ وَقَبْلِيَّةُ الإِبْعَادِ هي لها ختم

الخامسة عشرة : أن يَطَّعَ على عِلْمِ الْبَدء . والمراد عِلْمُهُ تعالى السابق للأشياء قبل أن تكون . وهو العلم المحيط بكل علم وبكل معلوم ، إذ لا يخرج عن علمه تعالى شيء . وكل علم وكل معلوم يعود إليه . وهذا هو سرُّ القدر (٤) . فقد

(1, 2) سقط من ب

(3) ما بين المعقوفين سقط من ب .

(4) في ب القدرة .

يكشف القطبُ على وجزئيات منه ولا يشترط إحاطته بكلية الأشياء وجزئياتها ؛ لأن ذلك من وظائف الربوبية . وإما يطلعُ الله تعالى على جُزئيات من نوع مخصوص ، وقد أشار الشيخ أبو العباس المرسى رحمته إلى شيء من ذلك فقال . « ما من ولي الله كان أو هو كائن إلا وقد أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه (1) وحظه من الله تعالى » .

وقال آخر : ما من نُظْفَةٍ تَقَعُ في الأرحام إلا وقد أطلعني الله عليها . وما يكون منها من ذكر أو أنثى ، وهد من جملة الكرمات التي أتخف الله تعالى بها بعض أوليائه . وقد يكون قطباً كاملاً وهو لم يطلع على [شيء من] (2) هذه الأمور . إلا أنه عارف بالله . راسخ القدم في المعرفة وإذا أراد الله تعالى أن يظهر شيئاً في مملكته أطلعه عليه وقد لا يطلعُ . وقد قال عليه السلام : « والله إني لا أعلمُ إلا ما عَلَّمَنِي رَبِّي » قال ذلك حين ضلَّتْ ناقتهُ فسم يَدْر أين ذهبت . فتكلّم بعض المنافقين في ذلك . ثم أعلمه الله تعالى بها .

وبالجملة فالاطلاع على المغيّبات من جملة الكرمات وهي لا تشترط في الولي قطباً كان أو غيره . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذا آخر ما جمعناه من حقائق التصوف وشرح ما يتعلق بكر حقيقة جعله الله خالصاً لوجهه الكريم وأدام له النفع العميم

(1) في ب : نسبه .

(2) ما بين المعقوفين سقط من ب .

كشَفُ النِّقَابِ عَنْ سِرِّ الْأَلْبَابِ

لِلشَّيْخِ
عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ عَجِينَةَ

ت: 1224 هـ

تقديم رفيع
د. عبد المجيد خيالي

مركز التراث الثقافي لمنعربي
الدار البيضاء

مقدمة التحقيق

كتاب كشف النقاب عن سرِّ لبِّ الألباب

هو رسالة صغيرة لابن عجيبة تحدث فيها عن الطلسم الذي يسمى بالكتر الذي سترَ وحجب غيبه عن الإنسان وهو ثلاثة أنواع .

1 - طلسم توحيد الأفعال بأن فعل العبد كله لله تعالى وهو سرٌّ من أسرار الألوهية أخماه الله عن عبده وجعل له اختياراً في الظاهر لتقوم به الحجة عليه ، وهد السر الذي ستره الله لا يصلح للعبد أن يحتج به لنفسه فيترك العمل أو يعمل بالمعاصي فيقول: ما قدره الله علي فهو مُقدرٌ خيراً أو شراً فيتكل . فلعمل وجب وكل خلقٍ مُيسرٌ لما خُلق له

2 - طلسم توحيد الصفات : بمعنى أن صفات الإنسان التي هي السمع والبصر والإرادة والكلام شبيهة بالصفات الإلهية إلا أن الصفات البشرية صفة ناقصة وحادثة و صفات الله تعالى صفات قديمة وكاملة .

3 - طلسم توحيد الذات ويسمى بعالم الحكمة وعالم الأثر وعالم الأشباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

وبعد : فهذا تقييد عجيب يرفع حجاب الوهم عن الحاذق اللبيب ، يتضمن رفع الحجب عن السر ، المصون وزوال الطلاسم عن الكثر المدفون . وسميته .

كشف النقاب عن سر لب الألباب : وهذا أوله والله المستعان

اعلم أن الحق حلّ جلاله أودع في هذا لأدنى أسرار دته وصمائه وأفعاله ، لكن حجب ذلك عنه بحكمته وقهره ، فجعل على كل واحد من الأسرار اثلاثة طلسمًا وحجبًا مستورًا ، فستر ذلك السر عن العبد بسبب الطلسم الذي عشي به قلبه طلسم توحيد الأفعال .

اعلم أن فعل العبد كله من الله ، بل لا فاعل في الوجود سواه قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (1) وقال تعالى ﴿إِنْ رِئْكَ فَعَلٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (2)

وقال : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (3) . ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (4) . ثم إن الحق جلّ جلاله جعل على (5) قلب العبد طلسمًا غشى به نور توحيد الأفعال ، وهو ما جعل له من الاختيار في الظاهر ، قوهم أنه مختار إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، وهذا يحس به كل عاقل من نفسه حتى يفرق بين حركة الارتعاس وغيرها : ولذلك قيل في الجبرية : أنهم قوم بلة ، حيث لم يفرقوا بينهم ، وهذا هو (6) المسمى بالكسب عند أهل السنة ، وبالْحِكْمَة عند

(2) سورة هود آية (107)

(4) سورة الفرقه آية (253) .

(1) سورة القصص آية (68)

(3) سورة الصافات آية (96) .

(5) مستدركة على الهامش في ب

(6) مستدركة على الهامش في ب

المصوفية، فيقولون : القُدْرَةُ تَبْرُزُ والحِكْمَةُ تَسْتُرُ وبسبب هذا الاختيار [الظاهر] (1) جاءت الشرائع وعيه يترتب احساب من الثواب والعقاب . وفي حقيقة الأمر لا فعل إلا الله ، لكن هذا سر من أسرار الألوهية اخفاه الله عن عبده ، وحمل له اختياراً في الظاهر لتقوم به الحجة عليه (2) . ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (3) وهذا السر لدى ستره الله لا يصلح للعبد أن يحتج به لنفسه فيترك العمل أو يعمر بالمعصية ؛ لأن العمل مطلوب من ناحية الشريعة . وهي إنما تعلقت بالظواهر وهذا الطلسم يغض ويرق بقدر رقة الحجاب وكثافته ، فإذا غط الحجاب كثر في لعب التدبير والاختيار ، حتى ربما يجزم أنه الفاعل المختار كما توهمت المعتزلة

وإذا ضعف الطلسم ورق الحجاب ، قل تدبيره واختياره وانعزل من حوله وقوته ، فإذا اتصل العبد بشيخ التربية ، عزله عن اختيار نفسه وأمره بتحكيمة على نفسه في أموره كلها ، فيقف عند أمره ونهيهِ ، فإذا حصل له الفهم عن الله وصار يفقه قلبه في الأمور حكم الله على نفسه ، وانعزل عن تدبيره واختياره ، وإذا وقع منه التدبير والاختيار كان بالله ومن الله وإلى الله محلول فيه بدبر وينظر ما يعمل ، فحينئذ ينكسر عنه الطلسم عن توحيد الأفعال ، فيرى الأفعال كلها من لله ذوقاً وكشفاً لا عدماً فقط ، فيدخل حينئذ (4) في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، إذا لم يبق له فعل يُحاسب عليه ، بخلاف غيره ؛ فإنه لكثافة حجابيه يسبب الفعل لنفسه أو لغيره ، وعلامته أنه ينقص رجاؤه عند وجود لزل ، ويقوى عند وجود العمل ويغضب على (5) من أذاه ، مع أنه يعتقد أنه لا فاعل إلا الله وأن العبد مجبور في قالب الاختيار ، لكن لا يكفي في هذا مجرد العلم ، ولا بد من الدوق الصريح كما تقدم ، وعن هذا الذوق عبّر

(1) م بين المعقوفتين سقط من .

(2) ساقط من . ب

(4) في ب . أيضاً

(3) سورة الأنعام آية (149) .

(5) في أ . عند . لصوب من . ب .

الجيلاني (1) رحمه الله حيث قال .

أراني كالآلات وهو محركي أنا قلمٌ والافتدَارُ أصابعُ
ولست بجبريٍّ ولكن مشاهد فعال مريد ما له من يَنازع

فإذ حصل للعبد هذا الذوق، زال عنه الإشكالُ والتعارضُ بين الحقيقة والشرعية . فيُنزلُ الحقيقة في محلّها وهو الباطن . والشرعية في محلّها وهو المظاهر ، فقوله [رحمه الله] (2) : « اَعْمَلُوا فِكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ » (3) . جمع فيه بين شريعة وحقيقة بقوله « اعملوا » شريعة « وكل ميسر... » إلح . حقيقة فكأنه قال عليه السلام . « اعملوا » أي توجهوا للعمل في المظاهر ولستم بعاميين في الحقيقة .

وقوله عليه السلام . « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله » حقيقة وقوله تعالى . ﴿ ادْخُلُوا الْحَنَّةَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (4) . شريعة ، فالشريعة تُسببُ العملُ للعبد باعتبار ما جُعِلَ فيه من الاختيار في المظاهر الذي هو الكسب . والحقيقة تنفيه عنه باعتبار ما في نفس الأمر .

وهكذا يسيرُ العبدُ بين حقيقة وشرعية

فالحقيقة : اعتقادٌ في الباطن . والشرعية : عملٌ في المظاهر ، وقد نَمَسَكَ الْكُفَّارُ بِالْحَقِيقَةِ وَحَدَّاهَا حَيْثُ قَالُوا . ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا ﴾ (5) ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ (6) فلم ينفعهم ذلك حيث أهملوا الشريعة ورفضوها

(1) هو أبو صالح عبد القادر الجيلاني وُلِدَ سنة (470 هـ) بحيلان وتوفي بعدد سنة (561 هـ) رحمه الله في الطنقات الكبرى للشعراني (1 / 08 ، 114) . وجمع الكرامات لعلة (ص 78 ، 77)

(2) من بين المعقوفين سقط من .

(3) عراه السيوطي في ادمع لصغير نصراي من رواية بن عباس وعمران بن حصير ورمز له (صح) أي صحح (1 / 77)

(4) سورة النحر 32

(5) سورة الأعراف 148

(6) سورة النحر آية (20) .

وكذلك من قال : دعاني وسَدَّ الباب فما تكون حيلتي فإن احتج بالقدر . مع أنَّ الاختيارَ الذي جعله الله في العبد في الظاهر حاصل له في العادة . لأنه قادرٌ على الخروج من الكُفْرِ ، ينطق بالشهادة مثلاً . وأما الحَبْرُ الباطنيُّ والقَهْرُ الإلهيُّ فلا يتعلَّقُ به التَّكْلِيفُ ؛ إذ ليسَ في طَوْقِ العَبْدِ . بل هو من أسرار قَهْرِ الرُّبُوبِيَّةِ الذي اختَصَّ الله به ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (1) .

قال سهل (2) رحمه الله : « الألوهية أسرار لو كشفت لبطلت النبوءات (3) وللنبوءات أسرار لو كشفت لبطل العلم . وللعلم أسرار لو كشفت لبطلت الأحكام » انتهى .

فلو انكشفت أسرار الألوهية من غير رداء لصار الخلق كلهم أغنياء عن تلقي العلم لاستغراقهم في بحار الأحدية ؛ فلا يحتاجون إلى واسطة ولو انكشفت أسرار النبوءات للخلق ؛ لصاروا كلهم علماء لظهور العلم الإلهي الذي كان كامناً في بطونهم . فيستغنون عن تلقي العلم من الأنبياء ، ولو انكشفت أسرار العلم بحيث يتبين الشقي من السعيد لبطلت الأحكام ، إذ يقول الشقي : لا ينفعني عمل فلا يعمل ، ويقول السعيد : أنا سعيد لا نحتاج إلى عمل . فتبطل أحكام الشرائع ، فأبهم الله تعالى هذا الأمر عن عباده ، ودعا الكل إلى طاعته وتوحيده فهدي من سبقت له السعادة . وخذل من سبق له الشقاء . قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (4) .

ومن سبقت له رتبة عالية حرَّكه إلى النهوض لأسبابها إذا (5) أراد الله أن

(1) سورة الأنبياء ، آية (23) .

(2) سهل بن عبد الله بن يونس لتستري توفي سنة (283 هـ) وقيل . سنة (273 هـ) .
ترحم له في صفة الصفوة (41 / 4 ، 42) . الرسالة الفشيرية (ص 400 ، 401) .

لطفاً لكبرى شعراي (1/ 77 - 79)

(3) في باب السوء

(4) سورة يونس ، آية (25) .

(5) في باب

يظهر فضله عليك خلق فيك (1) ونسب إليك ، ومن سبقت له رتبة متوسطة حركته إلى أسبابها على ما جرى به القدر السابق فلا يصح الاحتجاج بالقدر في هذه الدار .

فإن قلت: قد ورد في الحديث أن آدم وموسى عليهما السلام . قد تحاجا فقال موسى عليه السلام لآدم : « أنت الذي خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، وقال آدم: يا موسى أثلومني على أمر قضاه الله عليّ قبل أن أخلق ، فحجج آدم موسى » أي غلبه بالحجة .

قلنا : كان هذا الاحتجاج بعد موتهما في دار البرزخ وليست دار التكليف . وإنما هي دار التعريف ، فيصح الاحتجاج فيها بالقدر ، قال : قلت . كيف يتوجه العتاب إلى العبد وهو لم يفعل شيئاً في الحقيقة ؟ قلنا : توجه إليه باعتبار نسبة الفعل لنفسه على الاختيار الذي خلقه الله فيه الظاهر روي أن العبد إذا بلغ حد التكليف أرسل الله له ملائكة [ولعلمهم الحفظة] (2) فيقولون له : من أنت ؟ فيقول : عبد الله . فيشهدون عليه بالعبودية لله ، فإذا تحرك أول حركة . قيل له : من فعل هذا ؟ فيقول : أنا ، فيشهدون عليه بنسبة الفعل لنفسه . هـ . فعلى هذه النسبة يقع الحساب ، فمن خرج عنها ذوقاً وكشفاً ، ورأها من الله حقاً سقط عنه الحساب كما تقدم في السبعين ألفا والله تعالى أعلم .

طلسام (*) توحيد الصفات : اعلم أن هذا الهيكل الإنساني جعله الله أنموذجاً ربانياً تحاكي [صفاته (3)] صفات الرحمن . فجعل فيه قدرة وإرادة وعلماً وحياة وسمعا وبصراً وكلاماً . وهذا معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورته على بعض التأويلات . إلا أن هذه الصفات التي جعلها الله فيه . حادثة ناقصة ، وصفات الحق تعالى قديمة كاملة وهي كامنة في الإنسان كمور الثمار في الأغصان ، أو كمون الزبد في اللبن . فاحتجبت صفات الحق القديمة بصفات العبد

(1) محو في ب

(2,3) ما بين المعقوفتين سقط من أ . الزيادة من ب .

(*) انظر كتب طلسم توحيد الأفعال للشيخ ابن عجيبة معطوط عدد (1148 ك) صم
مجموع .

الحادثة . وقد تخرق له العادة فيظهر عليه من العلم أو القدرة [أو السمع] (1) أو البصر أو الكلام ما يبهر العقول . ثم يستتر ذلك عنه فيرجع لأصله . وتقف عند حدّه . فلما احتجبت عنه صفات الحق بطلسم وجود صفات نفسه ، زعم أنّه بقدر بقدرته ويريد بإرادته ، ويحيى بحياته ، ويسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ويتكلم بكلامه ، وفي الحقيقة إنما صفاته قائمة بصفات الحق الحق . وشعاع من شعاعها لا تأثير لها أصلاً ، فإذا انكسر عنه هذا الطلسم الوهمي (2) . وارتفع له الحجاب عن توحيد الصفات تحقق ألا قدرة له ، ولا إرادة ولا علم ولا حياة إلا بقدرة الله وإرادته .

وكذا سائر صفاته ، فصار يتحرك بقدرة الله ، ويريد بإرادته . ويسمع ويبصر بالله ، ويتكلم بالله . وفي ذلك يقول الششتري رحمه الله : « أنا بالله أنطق ومن الله أسمع » .

وقول القطب ابن مشيش : حتى لا أرى ، ولا أسمع ولا أحس ولا أجد إلا بهما . وفي مثل هذا ورد الحديث : « فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به » (3) . الحديث والله تعالى أعلم .

- طلسم توحيد الذات : اعلم أن [الله تعالى] (4) كان كنزاً خفياً لطيفاً أركياً لم يعرفه أحد ، فلما أراد أن يعرف تجلّى بتجليات من ذلك الكنز كشفها وأظهرها بمقتضى اسمه الظاهر ؛ ثم أبطنها وسترها بمقتضى اسمه الباطن ، فصارت ظاهرة باطنة أبطنها بما أظهر عليها من أحكام العبودية ، وأوصاف البشرية . ونعوت الحديثية ، من حس التكوين والتشكيل والتقيد والتحيز ، ولا حادث في الحقيقة إنما تجدد لها التجلي والظهور ، فبطنت بعد ظهورها ، فتحقق

(1) ما بين المعقوفتين سقط من : أ الزيادة من . ب

(2) في أ : الوصفي التصويب من . ب .

(3) أخرجه البحاري في الصحيح في كتاب الرقاق ، (38) باب في لتواضع . حديث (6502) (ص : 1639) من رواية أبي هريرة ، وهو جزء من حديث أوله « إن الله

قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » . . الحديث

(4) ما بين المعقوفتين في : ب : أن الحق جلّ جلاله .

فيها اسمه الظاهر [واسمه] (1) الباطن ، فمن نظر إلى أصلها وغاب عن حِسِّها لَمْ يَحْتَجِبْ بها عن الحق تعالى ورآه ظاهراً فيها . ومن وقف [عند] (2) حِسِّها الظاهر ؛ حجب بها عن شهود الحق وصارت في حقه ظلمة ؛ ولذلك قال في الحكم . « الكونُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وإنما أَنَارَهُ ظُهُورُ الْحَقِّ فِيهِ » (3) . فإنما هو ظلمة في حق أهل الْحِجَاب . وأما في حق أهل الْعِيَانِ فالكونُ عِنْدَهُمْ كُلُّهُ نورٌ فإذا انْصَلَ العبد (4) بِشَيْخِ التَّزْيِيَةِ غيبه عن أوصافِ بَشَرِيَّتِهِ بِشُهودِ رُوحَانِيَّتِهِ ، وعن أحكام العبودية بظهور نور الربوبية ، وعن حس الكائنات بِشُهودِ مَعَانِي أَسْرَارِ الذَّاتِ فيغيب عن نفسه بِشُهودِ محبوبه ، وعن الكون بِشُهودِ المكوّن . ويقال : مقام المحبوبة كما ورد في بعض روايات الحديث المتقدم . « فإذا أَحَبَبْتَهُ كُنْتَ » ، فإذا انْكَسَرَ هَذَا الطَّلَسَامُ وهو وجودُ الْعَبْدِ الْوَهْمِيِّ ، ووقوفُهُ مع أوصافِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْغَيْبَةِ عَنْهَا ظَهَرَ لَهُ هَذَا الْكَتَرُ الَّذِي كَانَ خَفِيًّا ؛ وهو الذاتُ الْأَقْدَسُ ، فيدخل مقام الإحسان وينالُ رتبة الشُهودِ وَالْعِيَانِ وهي (5) الْوَلَايَةُ الْكُبْرَى ، وَالسَّعَادَةُ الْعُظْمَى . وعن هذا عبر ابن العريف (6) مَوْجِبٌ :

بذلك سرُّ طال عنك اكتامه ولاح صباحٌ كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حلَّ فيه وطبت على موكب الكشف المصون خيامه

(1) ما بين المعقوفتين زيادة من ب .

(2) في أ مع التصويب من : ب .

(3) الحكم لابن عطاء الله لسكندري (ص 106) رقم (14) .

(4,5) سقط من ب

(6) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصهاجي الأندلسي عرف بابن

العريف من أعلام الصوفية بيه وبين القاضي عبد صر مكاتبات توفي سنة 536 هـ

1141م . ترجم له في عبة الملتبس (ص 166) رقم (360) ، لصلة لاس شكول

(1 / 81) ، بيل لانتهاج (ص 68) رقم (36) ، شارات لذهب (1124) ، شجرة

السور الزكية (196/1) رقم (432) بتعليقنا ونحريحد حواشيه

وجاء حديث لا يفلس سماعه شهى إلينا نشره ونظامه

إذا سمعته النفس طاب نعيمها وزال عن القلب المعنى غرامه

وقال الشُّشْتَرِي في بعض أرحاله: « يا قاصداً عين الخبر غطاه أَيْنَكَ ، الخُبْرُ (1) منك والخبر والسر عندك ، ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك » .

ثم قال : « اسمع كلامي والتهم ، إن كنت تفهم ، لأن كنزك قد عدم ، عن كل طلسم » .

واعلم أنَّ وُجُودَ هَذَا الطَّلَسَامِ حَقٌّ وَحَكْمَةٌ صَدْرُ أسرار الذات العالِيَةِ ، وَسِرُّ أسرار الربوبِيَةِ لِيَبْقَى الكَنْزُ مَدْفُونًا ، وَالسَّرُّ مَصُونًا وَلَوْلَا هَذَا الطَّلَسَامُ ، لافْتَضَحَ السَّرُّ وَنَالَهُ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ فَيَتَذَلُّ بِلا إظهار ، وينادى عليه بلسان الاشتهار وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ .

وما بين الناس ، وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، وهو رداء الحسِّ والقهرِيَةِ الْمُنْشُورِ على وجه أسرار المعاني ، وهذا في حق أهل الحجاب [في الدنيا] (2) .

وَأَمَّا مَنْ زَالَ عَنْهُ طَلَسَامُ تَوْحِيدِ الذَّاتِ فَلَا يُحْجَبُ عَنْهُ الْحَقُّ تَعَالَى سَاعَةً لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، فَهَمَّ يَنْظُرُونَ إِلَى الذَّاتِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، وَيُسَمَّى هَذَا الطَّلَسَامُ عَالَمُ الْفَرْقِ ، وَعَالَمُ الْحِكْمَةِ . وَعَالَمُ الْمَلِكِ ، وَعَالَمُ الْأَشْبَاحِ ، وَعَالَمُ الْأَثَرِ ، [وعالم الشهادة] (3) وَيُسَمَّى الْكَنْزُ الَّذِي سَتَرَهُ بِهِ عَالَمُ الْجَمْعِ ، وَعَالَمُ الْقُدْرَةِ ، وَعَالَمُ الْمَلَكُوتِ وَعَالَمُ الْأَرْوَاحِ ، وَعَالَمُ الْغَيْبِ . وَأَمَّا عَالَمُ الْجَبَرُوتِ فَهُوَ الْبَحْرُ اللَّطِيفُ الْفَيَاضُ الَّذِي يَتَدَفَّقُ مِنْهُ أَنْوَارُ الْمَلَكُوتِ ، وَهُوَ مَا لَمْ يَقَعْ بِهِ التَّجَلِّيُّ مِنَ الْكَنْزِ الْمَصُونِ وَالسَّرِّ الْمَكْنُونِ ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ وَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ تَعَالَى . فَمَا وَقَعَ بِهِ التَّجَلِّيُّ مِنْ نَظَرِهِ بَعَيْنِ الْجَمْعِ سَمَّاهُ مَلَكُوتًا ، وَمِنْ

(1) في ب : الخمر .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من : ب .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

نظره بعين الفرق في عالم الحكمة سماه ملكا . وما لم يقع به التجلي من الأسرار ،
 للطيفة الغيبية فهو جبروت . وهذا محرد اصطلاح [خارج عن اصطلاح] (١)
 اللغة ، فأهل الفرق من أهل الحجاب لا يرون إلا الملك لوقوفهم مع حس
 الكائنات ، فاحتجبت عنهم أنوار الملكوت وأهل الفناء لا يرون الملكوت .
 وتسرح أفكارهم في أسرار بحار الجبروت ، وأهل البقاء يرون الملكوت ،
 ويسرحون في بحار الجبروت ، وَيَتَنَزَّلُونَ إِلَى عَالَمِ الْمَلِكِ لأداء حقوق العبودية
 والأدب ، مع الربوبية وَيَتَفَنُّونَ فِي عُلُومِهِ ، فلا يحجبهم جمعهم عن فرقهم ،
 ولا فرقهم عن جمعهم ولا فناؤهم عن بقائهم ولا بقاؤهم عن فنائهم ، بل يُعْطَوْنَ
 كُلُّ ذِي حَقِّ حَقَّهُ وَيُوفَوْنَ كُلُّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ .

جعلنا الله من خَوَاصِّهِمْ بِمَنِّهِ وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله
 وصحبه وسلم تسليماً [والحمد لله رب العالمين] (2) .

(1) م بين المعقوفتين سقط من : أ . الزيادة من : ب .

(2) ما بين المعقوفتين زيادة من : ب .

فهرس موضوعات الكتاب

رقم الصفحة	الموضوع	الرقم الترتبي
الكتاب الأول : معراج التشوف إلى حقائق التصوف		
5	مقدمة التحقيق	5
7	عصر ابن عجيبة	7
8	حياة المؤلف	8
15	منهجية التحقيق	15
21	صور المخطوط	21
25	التصوف	1
26	واشتقاقه	2
27	التوبة	4
28	الإنابة	5
28	الخوف	6
28	الرجاء	7
28	الصبر	8
29	الشكر	9
29	الورع	10
30	الزهد	11
30	التوكل	12
31	الرضا	13
31	التسليم	14
31	المراقبة	15
32	المحاسبة	16
32	المحبة	17
33	المشاهدة والمعاينة	18_ 19
33	المعرفة	20
33	التقوى	21
33	الاستقامة	22
34	الإخلاص	23

34	الصدق	24
35	الطمأنينة	25
36	الشوق والاشتياق	27
36	الغيرة	28
37	الفتوة	29
37	الإرادة	30
38	المجاهدة	31
38	الولاية	32
39	الحرية	33
40	العبودية	34
41	القناعة	35
41	العافية	36
42	اليقين	37
43	علم اليقين - عين اليقين - حق اليقين	40 - 38
43	النعمة	41
44	الفراسة	42
45	الخلق	43
45	الجود والسخاء والإيثار	46 - 44
45	الفقر	47
47	الذكر	48
48	الوقت	49
48	الحال	50
49	المقام	51
50	القيض والبسيط	53 - 52
50	الخواطر والواردات	55 - 54
51	الواردات	56
51	النفس والروح والسر	59 - 57
53	النصر والتأييد والعصمة	60 - 26
54	الهداية والرشد والتسديد	65 - 63
54	الحكمة	66
54	العقل	67
55	العقل الموهوب	68
55	العقل المكسوب	69

56	توحيد البرهان	70
56	توحيد العيان	71
57	الأحادية والإيحاد والفردانية	74 - 72
57	حقيقة الذات العلية	75
58	العماء	76
59	الفناء والبقاء	78 - 77
60	القدرة	79
60	الحكمة	80
60	الفرق والجمع	82 - 81
61	الحس	83
61	المعنى	84
62	المملك	85
62	الملكوت	86
62	الجبروت	87
63	الناسوت	88
63	اللاهوت	89
63	الرحموت	90
63	التواجد	91
64	الوجد	92
65	الوجدان	93
65	الوجود	94
65	الذوق ، الشرب ، السكر ، الصحو	98 - 95
66	المحو	99
66	الإثبات	100
67	الستر والتجلي	120 - 101
67	المحاضرة	103
67	المكاشفة	104
67	المسامرة	105
68	اللوائح ، اللوامع ، الطوالع	108 - 106
69	البواده والهجوم	110 - 109
70	التلوين والتمكين	112 - 111
70	القرب والبعد	114 - 113
71	الشريعة	115

71	الحقيقة	116
72	الطريقة	117
72	الذات والصفات	118 - 119
73	الأنوار	120
73	الأسرار	121
74	النفس	122
75	الفكرة والنظرة	123 - 124
76	الشاهد	125
77	الخمرة ، الكأس ، الشراب	126 - 128
78	المريد	129
78	الفقير	130
78	المُلامتي	131
78	المقرب	132
79	العباد ، الزهاد ، العارفون	133 - 135
79	الصالحون	136
79	الأولياء	137
79	البدلاء	138
80	النقباء	139
80	النجباء	140
80	الأوتاد	141
80	القطب	142

الكتاب الثاني : كشف سرب الألباب

87	مقدمة التحقيق
93 - 89	صور المخطوط
94	طلسام توحيد الأفعال
98	طلسام توحيد الصفات
99	طلسام توحيد الذات
108 - 103	مصادر ومراجع
109	فهرس الموضوعات